دروس وعبـــر
فى
قصص الإنبياء والرسل
(للأطفال)

تأليف

الأستاذ الدكتور
موسى الخطيب

دكتورة
أميمه محمد على

٢٠٠٦

مركز الإسكندرية للكتاب
٤٦ شارع الدكتور مصطفى مشرفه
تليفون: ٤٨٤٦٥٠٨ - الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــم

يتنـاول هـذا الكتـاب عرضـاً لقصـص الأنبيـاء ، وهـذا لـيس موضوعاً جديداً في تأليفه ، بل سبقته إليه كتب أخرى ، تباينت فيما بينهـا مـن حيث عـدد الفصـول أو محتواهـا ، إلا أنهـا لـم تصـل إلـي مستوى كتابنـا هذا . وهذه مجرد حقيقـة تخلـو مـن أيـة مبالغـة ، ولا يرتقي إليها شك ، لا لشئ ، وإنما لأننا قمنا بتنـاول هذا المضمون في نوعية مخاطبة جديدة ، لم يسبقنا إليها كتاب آخر ، فكتابنا – في المقام الأول – أول كتـاب من نوعـه يتنـاول مضموناً ن يتسم بعمـق معانيـه وثراء محتواه ، وغزارة أفكاره من ناحية ، ويخاطب طفلاً صغيراً ، ينبغي أن يفهم ذلك المضمون ، ويستوعبه حق الاستيعاب ، ويتمثلـه كأشد ما يكون التمثل من ناحية أخرى .

لقد كنا بين المحافظة علي ثراء المعنى من ناحيـة ،والمحافظـة والحرص علي سلاسة اللغة من ناحية أخرى ، كمن يسير فوق درب ، تحوطـه الأشـواك ، أو كمـن وضـع نفسـه بين شـقي رحـى ، إذ كـان علينـا أن نبسـط اللغـة ، دون أن نبتـذلها ، وكـان علينـا – كـذلك – أن نعرف الطفل بذلك العـالم الرائـع السـامي الخـلاب ، بكل مـا فيـه مـن معان.

ولكن لم تشفع لنا إلا غيرتنـا الشديدة علـي ديننـا الحنيف ، ومـا فيه من قصص رائع من جهـة ، وعلـي أن نسد رتقـاً من ثـوب الثقافـة الإسلامية الغراء ، لا يستهان به – بأي حال من الأحوال – من حيث ضرورتـه ، وأهميتـه بالنسبة للطفل الذي يعتبـر المحـرك المؤثر فـي تشكيل الغد الإسلامي الذي نتمناه من جهة أخرى .

لقد دفعنا إلي تجشيم كل هذا العنـاء ضـرورة أن يعـرف الطفـل المسلم أصول ثقافته الإسلامية معرفة ثابتة الجذور ، وطيدة الـدعائم، لا يهزهـا جهـل ، ولا يحيد بهـا تطـرف أو تعصـب ممقـوت عـن جـادة الصـواب .

إننا نهدف من كتابنا هذا ، إذا درسه الطفل درساً واعياً ، وقرأه بإمعان ، وبتوجيه حصيف ممن يتولون أمره ، أن نجعل منه نواة للمسلم الواعي بأمور دينه ، العارف بتاريخ ديانته وفضلها ، فينشأ صالحاً محباً راغباً في أمور هذا الدين .

لقد قصدنا أن يكون سرد القصص ، الذي ورد بهذا الكتاب ، حسب التسلسل التاريخي والزمني ، وذلك لما في هذه القصص من ارتباط قوي ، كسلسلة واحدة ، مرتبطة الحلقات ، دون انفصال أو انفصام من جهة ، ولأن هذه القصص يمهد بعضها للبعض الآخر من جهة أخرى .

والله من وراء القصد معين .

المؤلفان

(١)

آدم عليه السلام

في يوم بعيد بعيد جداً .... أراد الله سبحانه وتعالى أن يخلق الكون ....

والله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً ، قال له :

كن فيكون ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ ، وهو علي كل شئ قدير .

وهكذا .... أمر الله سبحانه وتعالى السموات والأرض وما بينهما أن تتكون في ستة أيام ، فكانت كما أراد .

وهكذا .... خلق الله السموات والأرض ، ثم أستوي علي العرش .... وخضع كل شئ له .... وراح يقدس باسمه ويسجد له .

عاشت في السماء كائنات خلقها الله من النور ، وسماهم الملائكة .... فهم جنود الله يقدسونه ويسبحون بحمده ولا يعصون له أمراً .

وخلق الله سبحانه وتعالى – ما بين السموات والأرض - مخلوقات من نار ، سماهم الجن وكان فيهم الطائع والعاصي ، والكافر والمؤمن .

وأراد الله سبحانه وتعالى ، أن يكمل جمال الأرض ، ويعطيها الشئ الذي ينقصها .

فجمع الملائكة ، وقال لهم :

هل ترون يا ملائكتي هذه الأرض الجميلة ؟

فسجدوا لله وقالوا :

نعم يا ربنا .. إنها جميلة جداً ... لأنك أنت يا ربنا الذي خلقتها.

فقال الله سبحانه وتعالى لهم :

إن جمالها ناقص .. لأنها خالية من الإنسان ، ولذلك سأخلقه فيها ، ليعمرها ويبنى البيوت ، ويزرع الحقول ، ويشق الترع والأنهار.

فلما سمع الملائكة أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يخلق الإنسان في الأرض .... خافوا وحسبوا أنهم قد فعلوا ذنباً ، أغضب الله منهم ... ولهذا يريد أن يخلق الإنسان .

فقالوا له :

لماذا يا ربنا تخلق الإنسان في الأرض ، ونحن نعبدك ونقدسك ونسبح بحمدك ؟

نحن أحق من الإنسان بأن نسكن الأرض ... أما الإنسان .. فسوف يكون مفسداً .. يسرق وينهب ويقتل ... ويرتكب الجرائم والمعاصي .

فرد عليهم الله سبحانه وتعالى ، قائلا :

أنا أعلم بحكمة خلق الإنسان منكم ، وأنا أعلم من يصلح أن يسكن للأرض ، وأنتم لا تعلمون .

فالله سبحانه وتعالى أراد أن يبين لملائكته أنه يعلم حكمته من خلق آدم ، وهم لا يعلمونها ، ولن يكون آدم ، مثل المخلوقات التي تسفك الدماء علي الأرض ، وتفسد فيها . وستتحقق بوجوده علي الأرض حكمة عليا ، لا يعرفها أحد إلا الله : حكمة المعرفة .

وأصدر الله سبحانه وتعالى أمره للملائكة ، فقال إنه سيخلق بشراً من طين ، فإذا سواه ونفخ فيه من روحه .. فيجب عليهم أن يسجدوا له سجود تكريم .

وجمع الله سبحانه وتعالى قبضة من تراب الأرض ، فيها من الأبيض ، والأسود ، والأصفر ، والأحمر . ولذلك .. خلق الناس ألواناً، ومزج الله تعالى التراب بالماء ، فصار كالصلصال ، ثم خلق آدم ، ونفخ فيه من روحه .

وتحرك جسد آدم ، وصار حياً يمشي ويتحرك ويتنفس .. فلما فتح عينيه ، رأي الملائكة كلهم سجدين ، له إلا إبليس لم يسجد له .

فقال الله تعالى مخاطباً إبليس :

لماذا لم تسجد لآدم، الذي خلقته بيدي، ونفخت فيه من روحي؟

فرد عليه إبليس : - لماذا أسجد لآدم وأنا أفضل وأحسن منه.. فأنت يا ربي خلقتني من نار ، وخلقت آدم من الطين ، والنار أحسن من الطين .

غضب الله من إبليس غضباً شديداً ، فطرده ولعنه إلي يوم الدين جزاء نفوره وتكبره ، وتوعده بالعذاب الأليم في الآخرة .

فرد إبليس قائلاً :

مادمت يا ربي قد حكمت علي باللعنة ، وجعلتني شيطاناً رجيماً، فأطلب منك أن تطيل عمري إلي يوم القيامة .

فرد عليه الله قائلاً له :

ستعيش إلي يوم القيامة ، وستكون ملعوناً مني ومن ملائكتي ، ومن آدم وأولاده .

وعلم الله سبحانه وتعالى آدم أسماء جميع الأشياء الموجودة علـي الأرض ، وبعد أن تعلم آدم الأسماء كلها .. عرض الله هذه الأشياء علي الملائكة ، وقال :

أنبئوني بأسماء هؤلاء .

ونظر الملائكة إلي الأشياء التي عرضها الله عليهم ، فلم يعرفوا أسماءها ، فقالوا لله :

سبحانك يا ربنا !! لم تعلمنا أسماء هذه الأشياء ، فنحن لا نعلم إلا ما علمتنا .

فنظر الله إلي آدم ، وقال له :

أخبرهم يا آدم بأسماء هذه الأشياء .

وحدثهم آدم عن أسماء جميع الأشياء التي عرضها الله عليهم .. فتعجبت الملائكة من ذكائه ومعرفته ، فعرف الملائكة أن آدم أصلح منهم للسكن في الأرض .

وكان الله يعلم أن آدم لا يستطيع أن يعيش سعيدا في حياته ، فخلق الله له زوجة ، تشاركه في حياته ، وتكون أماً لأولاده ، فتعمر الأرض بهم .

وكان آدم نائماً ، فلما صحا من نومه ووجد حواء بجواره ، فرح فرحاً شديداً ، وحمد الله ، لأنه خلق له حواء ، فقد كان يحس بالوحدة .

وأمر الله آدم أن يسكن هو وزوجته الجنة ، وقال الله لهما قبل دخولهما الجنة :

يا آدم قد خلقتك ، وأعطيتك العلم والمعرفة ، وخلقت لك حواء، وجعلت الملائكة يسجدون لك ... ثم أسكنتك الجنة ... لتعيش فيها أنت وزوجتك هادئين ، فكلا من كل شئ فيها ، ولكن لا تأكلا من هذه الشجرة . فإن أطعتني أنت وزوجتك ، أبقيتكما في الجنة ... وإذا

عصيتماني أخرجتكما منها ، وأنزلتكما إلي الأرض الـتي تتعبان فيها أنتما وأولادكما في سبيل الحصول علي الرزق ، فأحذرا من إبليس اللعين .

ودخل آدم مع حواء الجنة ، التي فيها ظل دائم وشبع مستمر وشراب لا ينقطع ، حياتها نعيم وسرها أبدي ، وأكلها دائم .

وعاش آدم وحواء في الجنة يرفرف عليهما الحب والسلام والطمأنينة... كان آدم وحواء يلعبان ويسيران ، ويستمعان لغناء العصافير ، وتسبيح الأنهار والملائكة ، وكانا يعيشان حياة ومتعة شديدة جداً ... لم يعشها بعد آدم إنسان ، والإنسان من طبيعته النسيان، فأستغل إبليس إنسانية آدم وجمع كل حقده ، وراح يوسوس إليه يوماً بعد يوم ، فراح يقول له :

هل تعرف لماذا أمرك الله أن تبتعد عن هذه الشجرة يا آدم ؟ ... هذه شجرة الخلد ... لو أكلت منها .. فلن تموت أبداً ، وستكون ملكاً، وسوف يعطيك الله الحياة والخلود ، أنت وزوجتك .

ومرت الأيام ، وآدم وحواء مشغولان بالتفكير في كلام إبليس .. ثم قررا يوماً أن يأكلا من شجرة الخلد .. وسمع آدم كلام إبليس اللعين ، ووقع تحت تأثيره ، إذ أقسم لهما إبليس بالنصح والإرشاد ، فصدقاه ونسى آدم العهد الذي عهد إليه ربه ، لأن من طبيعته النسيان، فهو هكذا خلق .

ومد آدم يده إلي الشجرة المحرمة ، وقطف منها إحدى الثمار ، وقدمها إلي حواء .. وأكل الاثنان منها .

لم يكد آدم ينتهي من الأكل ، حتى أحس أن صدره ينقبض ... أحس بالألم والحزن والخجل فجأة .. واكتشف أنه عار هو وزوجته .... وبدأ هو وزوجته يقطعان أوراق الشجر ، لكي يغطي بها كل واحد منهما جسده العاري .

وعرف – في الحال – أنهما وقعا في مكر إبليس اللعين ، وأنهما ارتكبا ذنباً فظيعاً .

وسمعا الله يناديهما ، ويقول لهما :

لماذا صدقتما إبليس ؟ لقد حذرتكما منه ، وعرفتكما عداوته لكما ، ونهيتكما عن الأكل من هذه الشجرة ؟

فحزنا حزناً شديداً ، وندما ندماً طويلاً ، وطلبا من الله التوبة والعفو والمغفرة ، فسامحهما الله ، وعفا عنهما ، وقال لهما :

الآن عفوت عنكما ، ولكن ليس لكما في الجنة سكن ، فأنزلا إلي الأرض ... إنها مكانكما الذي سوف تعيشان فيه ، وتموتان فيه ، وتخرجان منه يوم البعث ... وسوف ينزل معكما إلي الأرض إبليس اللعين .. فهو عدو لكما ولذريتكما .. ولن تهدأ الحرب بينكم وبينه إلي يوم القيامة .

هبط آدم عليه السلام إلي الأرض .. وبدأ الحياة عليها ، فعرف آدم أنه ودع الراحة والنعيم ، حين خرج من الجنة ، وهبط إلي الأرض ، حيث التعب والشقاء والكد والعرق .

بنى آدم بيتاً صغيراً من أعواد الشجر ، ليقيم فيه هو وزوجته ، ويقيه من الحر والبرد والمطر . واشتغل آدم بزراعة الأرض ، وتربية الحيوانات المختلفة .

ولم يمض وقتاً طويلاً .. حتى وضعت حواء بنتاً وولداً في بطن .. وصارت بعد ذلك تضع في كل بطن بنتاً وولدا ، وراحت تربي أولادها ، أما آدم فاشتغل في زراعة الأرض ، ليحضر الطعام لأولاده ... وصيد الحيوانات ليتخذ من جلودها وأصوافها ملابس وفرشاً لهم

وكبر أولاده وصاروا يساعدونه في عمله ، وكان كل ولد يتزوج أخته التي ولدت معه في بطنه

وعاش ادم وحواء وأولادهما في سعادة وهناء وسرور .

ولكن إبليس اللئيم الملعون عز عليه أن يرى ادم وأولاده سعداء ، فذهب إلي أبنه المسمى قابيل ووسوس له ، وملأ نفسه

بالكراهية والحقد علي أخيه هابيل ، وصار يوسوس ويوسوس له ، ويقول :

إن أباك يريد أن يزوجك أختك القبيحة ، لأنه يحب أخاك هابيل أكثر منك ، ويريد أن يزوجه أختك الجميلة ، فاقتنع قابيل بكلام إبليس، ورفض أن ينفذ أمر أبيه آدم ، ويسمع نصيحته ....

ذهب قابيل إلي أخيه هابيل ونفسه ممتلئة بالشر والحقد عليه ، وقتله ، وحزن آدم وحواء حزناً شديداً علي موت ابنهما هابيل ، وعرف قابيل أنه أخطأ ... وشعر بأنه قتل أخاه الطيب هابيل ظلماً، فندم ندماً شديداً علي ما فعل .

وعلي فراش من أغصان الشجر والورد . كان آدم يرقد بلحيته البيضاء ، ووجهه الطيب وقد التف أولاده الكثيرون حوله..فحدثهم آدم أن هناك سفينة واحدة لنجاة الإنسان..هذه السفينة هي هدى الله وكلماته.

طمأن آدم أبناءه بأن الله لن يترك الإنسان وحده علي الأرض ، وإنما سوف يرسل أنبياءه ورسله لهداية الإنسان ، ولكن سيتفقون علي شئ واحد ، وهو الدعوة إلي عبادة الله الواحد الأحد ، وكانت تلك الكلمات هي وصية آدم لأبنائه ......

انتهى آدم من وصيته وأغمض عينيه .. وشاهد الملائكة يحيطون به ويحيونه .. وكان بينهم ملك الموت عزرائيل ، فقبض روحه .. وصعدت إلي بارئها وخالقها .

(يا أيتها النفس المطمئنة ، أرجعي إلي ربك راضية مرضية، فأدخلي في عبادي وأدخلي جنتي) [١]

---

(١) سورة الفجر : ٢٧-٣٠ .

(٢)

سيدنا نوح عليه السلام
وسفينة النجاة

كان سيدنا نوح عبداً صالحاً ن نقى القلب وطاهر الضمير .. وكان إذا استيقظ ، أو نام أو شرب أو أكل ، أو لبس ملابسه ، أو خرج، أو دخل .. شكر الله وحمده ، وذكر نعمته عليه .

رأي سيدنا نوح عليه السلام قومه يعبدون الأصنام ، التي لا حول لها ولا قوة ، وعرف أن إبليساً خدعهم وأغواهم إلي الكفر والشرك ، كما أفسد نفوسهم ، فخاف علي نفسه أن يفسده إبليس كما أفسد قومه ، وصار ينوح ويبكي ، فسماه الناس نوحاً .

وأصبح نوح يعبد الله وحده ، ويدعو الله أن يهديه إلي الصراط المستقيم .

ورأى الله سبحانه وتعالى أن نوحاً هذا خير من يرسله إلي قومه ليعلمهم الدين الصحيح ، ويدعوهم إلي عبادة الواحد الأحد ، وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ، فأرسل الله سبحانه وتعالى إليه جبريل ، ليقول له :

أبشر يا ينوح !! إن الله رضي عنك ، وأرسلك نبياً إلي قومك، لتخرجهم من الظلمات إلي النور ، وتدعوهم إلي عبادة الله ، وترك عبادة الأصنام . فأذهب إلي قومك ، وأدعوهم إلي عبادة الله .

وكان في البلدة التي يعيش فيها سيدنا نوح فريقان من الناس ، أغنياء يعيشون في القصور ، ويملكون الخدم ، ويسخرونهم في القيام بجميع أعمالهم الشاقة ، أما الفقراء .. فكانوا مذلولين للأغنياء ، فلا يستطيعون رفع رؤوسهم أمامهم ، فكثر ظلمهم للفقراء ، وزاد سلطانهم عليهم .

فكر سيدنا نوح في حال قومه ، ورأي الظلم الذي يشكو منه الفقراء ، فراح يدعوهم إلي عبادة الواحد الأحد ، وترك عبادة الأصنام وأفهمهم أن الله خلق الإنسان وكرمه ، ومنحه نعمة العقل الذي يفكر به ، فكيف يعبدون أصناماً لا تضر ولا تنفع !!! وإنه لا فرق بين غني وفقير إلا بالتقوى والعمل الصالح ، وكلنا سواسية أمام الله ، فاستمعوا إلي سيدنا نوح ، ورأوا أنهم إذا أجابوا دعوته تخلصوا من سلطان الأغنياء عليهم ، وأصبحوا مثلهم أمام الله ، فراحوا يصدقون نوحاً ، ويقبلون دعوته ، ويعتنقون الدين الذي دعاهم إليه .

ولما رأى سيدنا نوح أن أتباعه كثروا .. راح يدعو الأشراف والأغنياء من قومه إلي عبادة الله ، وترك عبادة الأصنام ، وحذرهم من الاستمرار في كفرهم ، وإلا فسوف يلحق الله بهم عذاباً أليماً .

فسخروا منه وشتموه ، وقالوا له : من هو إلهك الذي تدعونا إلي عبادته ، وتطلب منا أن نترك أصنامنا من أجله ؟

فقال لهم نوح : الله خالقكم ورازقكم ، وخالق السموات ، وما فيهن من شمس وقمر ، ونجوم ، وكواكب ، والأرض وما فيها من بحار ، وأنهار ، وجبال ، وحيوانات ، وثمار ، وما بين ذلك من الهواء والطيور . ونحن جميعاً عبيد خاضعين لله تعالى .

ولكنهم لم يفكروا فيما قال لهم ، ولم يستمعوا إلي نصائحه ، بل زادت سخريتهم منه ، وقالوا له :

إذا كان الله سبحانه وتعالى كما وصفته ، فلم اختارك أنت لتكون رسوله إلينا ؟ ولماذا لم يرسل لنا ملكاً من ملائكته ، يبلغنا دعوته ؟

فما أنت إلا بشراً مثلنا ، فكيف يختارك الله من دوننا ، لتبلغنا بالرسالة ؟ .... فأنت رجل غشاش وكذاب ..

فأجابهم سيدنا نوح : الله يشهد أني لست كذاباً ولا غشاشاً ، وأني رسول من عند الله ، وأكد لهم أنه مجرد بشر مثلهم ، وأن الله سبحانه وتعالى يرسل إلي الأرض رسولاً من البشر ، لأن الأرض يسكنها البشر ، ولو كانت الأرض تسكنها الملائكة ، لأرسل الله إليهم

رسولاً من الملائكة ، ثم قال لهم : أنا لا أطلب منكم أجراً ولا مالاً علي نصيحتي لكم ؟ إنما أنا أنصحكم ، لأنجيكم من عذاب الله الأليم فلم تظنون بي الظنون، ولا تثقوا بأنني ناصح أمين لكم، فتعالوا معي، وأدخلوا في ديني ، واتركوا عبادة الأصنام التي لا حول لها ولا قوة.

فلجأ الذين كفروا إلي المساومة .... فقالوا لنوح :

اسمع يا نوح إذا أردت أن نؤمن بك ، فأطرد الذين آمنوا بك من الفقراء والضعفاء ... فنحن شرفاء القوم وأغنياءهم ، ويستحيل أن تضمنا دعوة واحدة مع الفقراء .

وكيف نرضى ، ونقبل أن تسوى بيننا وبين الفقراء ؟

ولو كنت رجلاً عاقلاً لتنبهت إلي هذا الخطأ الكبير ، ودعوتنا نحن أولاً لنؤمن بك وحدك ، ونظل سادة عليهم .

فنظر نوح إليهم ، وقال : أطرد هؤلاء المؤمنين ؟ ومن يدافع عني أمام الله إذا طردتهم ؟! إنكم قوم تجهلون .

فغضبوا منه ، وازداد غيظهم ، وأوصى بعضهم البعض قائلين:

احذروا أن يفتنكم نوح في عقيدتكم ، ويفسد عليكم دينكم .

أما سيدنا نوح ... فلم ييأس واستمر يدعو قومه إلي عبادة الله سراً وجهراً ، ليلاً ونهاراً . وهم مستمرون في عنادهم وكفرهم ، ولاحظ سيدنا نوح أن عدد الكافرين يزيد وعدد المؤمنين يقل ، ولكنه لم ييأس ، وظل يدعوهم ويدعوهم ، حتى مكث يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً .

وأخيرا قالوا له : إنك يا نوح جادلتنا كثيراً حتى أتعبتنا وأتعبت نفسك ، فإن كنت صادقاً في تخويفك لنا من عذاب ربك .. فأدعوه أن ينزل بنا عذابه الأليم ، فإنا لا نخاف منه .

ثم خاطب نوح ربه قائلاً :

يا رب لقد طالت دعوتي لهؤلاء الكافرين الضالين ، وأتبعت معهم كل الطرق ، ولكنهم تكبروا عن سماع الحق ، ووضعوا أصابعهم في أذانهم ، وأصروا علي كفرهم ، ولن يؤمنوا بعد اليوم ، فيا رب طهر أرضك منهم ، وأهلكهم عن آخرهم ، حتى لا يملأوا الأرض فساداً .

فأوحى الله إليه :

صدقت يا نوح ، لن يؤمن من قومك إلا من سبق إيمانهم ، فلا تحزن لما رأيت من عنادهم وكفرهم ، وسيحل بهم العذاب ، ويغرقهم الطوفان .

أمر الله سبحانه وتعالى نوحاً أن يصنع سفينة كبيرة ، ويحمل فيها من جميع الكائنات والأحياء زوجين : ذكر وأنثى .

كما أمر الله سبحانه وتعالى نوحاً أن يزرع شجرا ، ليعمل منه السفينة ، فغرسه وانتظر سنوات ، ثم قطعه ، وبدأ نجارته في سنوات، وكانت سفينته عظيمة الطول والارتفاع ، وكانت مكونة من ثلاثة طوابق ... السفلى للحيوانات والوحوش والأوسط للناس ، والأعلى للطيور .

وكان نوح يصنعها طبقاً لتوجيهات الله سبحانه وتعالى وتعليماته ، وكان الكفار كلما مروا به ، ووجدوه منهمكاً بصنع سفينته، يضحكون عليه ويسخرون منه ، ويقول له بعضهم :

لقد تركت يا نوح دعوة بك ، وصرت نجاراً !! فكيف تصنع سفينة في ارض بعيدة عن البحر !! وكيف ستنقلها إلي البحر ، إن هذا دليلاً علي جنونك !! وراحوا يضحكون عليه ويسخرون منه .

ولما انتهى نوح من صنع السفينة .. أخذ ينتظر وعد ربه ، فأوحى الله إليه :

يا نوح .. إذا رأيت التنور الذي تخبز فيه امرأتك الخبز قد فار منه الماء وخرج متدفقاً منه ، وملأ سطح الأرض ، كما يتدفق السيل ، فأدخل السفينة أنت وأهلك إلا امرأتك ، لأنها كافرة ، وخذ معك من كل شئ زوجين ، كما أمرتك من قبل .

وما هي إلا أيام حتى تفجر الماء من الفرن ، فعلم نوح أن وعد الله قد حان ، فأسرع إلي السفينة ودعا أهله من المؤمنين ، وحمل الحيوانات والطيور وجميع الأحياء .. من كل جنس زوجين ، وكان الحمار أخر حيوان ، أراد أن يصعد السفينة ، فتعلق إبليس في ذيله ، فعجز الحمار عن الصعود ، فلما رآه نوح عاجزاً عن الصعود ، صاح قائلاً :

أصعد وإن كان معك إبليس .

فوثب الحمار ، ومعه إبليس ، فلما رآه نوح غضب وقال :

من إذن لك أن تطلع السفينة ؟ أنزل فإنك أفسدت الأرض ومن عليها .

فأجابه إبليس قائلاً :

لقد أعطيتني الأذن حينما خاطبت الحمار ، ولن أنزل منها أبداً، لأن الله سبحانه وتعالى وعدني ، بأن أعيش إلي يوم القيامة .

وكان لسيدنا نوح أربعة أولاد ، هم :

سام وحام ويافث ، والرابع كنعان وكان كافراً ، فعندما صعد سيدنا نوح السفينة لم ير أبنه كنعان عليها ، فنظر خارجها فرأى الماء يفور من كل مكان في الأرض ومن السماء ومن البحار والجبال ، والكفار يجرون هنا وهناك ، ويصعدون إلي الجبال ، وولده كنعان معهم.

فخاف نوح علي ولده من الغرق ، فناداه :

تعال اركب معنا ، ولا تكن من الكافرين .

فقال له أبنه :

سآوي إلي جبل يعصمني من الماء . فقال له سيدنا نوح :

يا بني ... لا عاصم اليوم من أمر الله ، ولن يعصمك الجبل من الغرق ، لأن الله أمر الطوفان أن يغمر كل شئ .

وبينما هما يتناقشان .. ارتفعت الأمواج وغطت سطح الأرض كله ، وغرق أبنه كنعان ولم يبق علي سطح الأرض مخلوق حي ، إلا الأنواع التي ركبت سفينة نوح ، فحزن نوح لغرق أبنه كنعان وتحركت في قلبه عواطف الأبوة ، فقال مناجياً ربه : رب أن ابني من أهلي ، وإنك يا ربي وعدتني أن يركب معي السفينة ، فلماذا لم يركب معنا ؟

فرد عليه الله سبحانه وتعالى قائلاً :

يا نوح إن كنعان ليس من أهلك لأنه لم يؤمن بالله ، وليس الدم هو الصلة بين الناس ، فلا تسأل عن شئ لا تعرف سر حكمته .

فاستغفر نوح ربه وتاب إليه ... فسامحه الله وغفر له ، وظلت السفينة تسبح في الماء ، حتى طهرت الأرض من جميع الكفار ، فأمر الله سبحانه وتعالى السماء أن تكف عن المطر ، وأمر الأرض أن تبلع الماء ، وظلت السفينة تقترب من سطح الأرض شيئاً فشيئاً ، حتى وقفت علي جبل اسمه الجودي في آسيا الصغرى ، بين العراق وتركيا، وأرسل سيدنا نوح الحمامة لتعرف هل جفت الأرض ، وأصبحت صالحة للنزول إليها أم لا ، فعادت إليه بعد قليل وفي فمها غصن شجرة زيتون ، وفهم نوح أن الطوفان قد توقف وجاء السلام .

نزل نوح من السفينة هو وأهله ، وجميع ما فيها ، ووضع جبهته علي الأرض ، وسجد شكراً لله علي نجاته هو وأهله ، ونهض نوح بعد صلاته وحفر الأساس لبناء مسجد عظيم لله . ثم أشعلوا النار، وراحوا ينضجون عليها اللحم ، ويأكلون منه ، لأنهم لم يكونوا قد أكلوا طعاماً ساخناً ، طوال فترة الطوفان ، وعادت الحياة إلي الأرض من جديد.

(٣)

سيدنا صالح عليه السلام

أرسل الله سبحانه وتعالى سيدنا صالحاً عليه السلام إلي قبلة ثمود ، التي كانت تعبد الأصنام ، فراح يدعوهم إلي عبادة الله وطاعته ، وذكرهم بنعم الله عليهم ، وأنه خالق كل شئ ، فهو خالق السموات وما فيهن من شمس ، وقمر ونجوم ، وكواكب ساطعات ، والأرض ، وما عليها من بحار وجبال وحيوانات ونباتات ، وما بينها من الهواء والطيور .

فقال قوم صالح له : يا صالح لقد كنت موقراً بيننا قبل دعوتك هذه ... فكيف تنهانا عن عبادة الأصنام ، كيف نترك آلهة أجدادنا وآبائنا ؟ إننا لا نصدق ما تدعونا إليه .

كان واضحاً أن قوم صالح لا يصدقونه ، ويشكون في دعوته ، واعتقدوا أنه مسحور وطالبوه بمعجزة ، تثبت أنه رسول من عند الله إليهم .. وكان قوم صالح أقوياء جداً ، فكانوا ينحتون في الجبال بيوتاً جميلة وكبيرة جداً من الصخر .

فدعا صالح ربه سبحانه وتعالى أن يأتيه بمعجزة من عنده ، حتى يؤمن قومه به ويصدقونه ، فاستجاب الله سبحانه وتعالي لدعاء سيدنا صالح ، وأرسل له ناقة معجزة .

ذهب صالح عليه السلام لقومه ، وقال لهم :

يا قوم هذه ناقة الله لكم آية ، أي معجزة ، فهي ليست كباقي النوق العادية الموجودة في الدنيا . فيقال إنه انشقت صخرة وخرجت منها الناقة ، فهي ناقة معجزة ، فكانت هذه الناقة تشرب ماء البئر كله في يوم ، فيتحول ذلك الماء إلي لبن ، تختزنه في ضرعها فيشرب منه القوم ، بدلاً من الماء في اليوم الآخر ، وكان لبن هذه الناقة لا

ينقص من ضرعها أبداً ، فكان يكفي جميع القوم ، ومع ذلك لا ينقص منه شئ .

وأصدر الله سبحانه وتعالى أمره إلي سيدنا صالح أن يأمر قومه بألا يمسوا الناقة بسوء ، وأن يتركوها سالمة ، فهي إكرام من المولى عز وجل لهم ، لأنها تسقيهم لبن الحياة الذي يأتيهم دون عناء أو مشقة ، فهي نعمة أعطاها لهم الله ، فيجب أن يحافظوا عليها .

في البداية .. تعاظمت دهشة ثمود ، حين ولدت الناقة من الصخور ، وكانت هذه الناقة إذا نامت في مكان تركته لها كل الحيوانات الأخرى ، وعاشت الناقة بين قوم صالح ، فآمن به قليل من قومه وظل أغلبهم علي كفرهم وعنادهم ، وكره الكافرون هذه الناقة المباركة ، وبدأوا يدبرون لها مؤامرة للتخلص منها .

فاجتمع الكافرون داخل قصر منحوت من الصخر ، وأخذوا يتشاورون في أمر الخلاص من الناقة إلي أن وصلوا إلي حل : وهو قتل الناقة .

فقال واحد منهم :

حذرنا صالح عليه السلام من التعرض للناقة والمساس بها ، وإلا فسوف يحل بنا عذاب أليم فقال كبيرهم :

نحن لا نصدق صالحاً .

وبدأوا يفكرون في قتل الناقة ... فاختاروا تسعة رجال من المجرمين ، الذين كانوا يفسدون في الأرض ، وكلفوهم بقتل الناقة .

وعندما اشتد الظلم علي الجبال .. خرج التسعة بأسلحتهم وسيوفهم ، وهجموا علي الناقة ووليدها النائم بجوارها . قتل الرجال التسعة الناقة ووليدها ، وسالت دماءها نحن قتلناها الناقة ووليدها .

وعندما علم سيدنا صالح بالخبر حزن حزنا شديداً ، وخرج غاضباً علي قومه وقال لهم :ألم أحذركم من أن تمسوا الناقة بسوء. قالوا: قتلناهم فأتنا بالعذاب إن كنت من الصادقين ، فقال صالح لقومه:

تمتعوا في دياركم ثلاثة أيام ، وبعد ذلك .. سيحل بكم العذاب الأليم من عند الله .

بعدها .. غادر صالح وقومه من المؤمنين بلدتهم ، وانتهى الأمر ، ووعد الله سيدنا صالحاً بهلاك قومه بعد ثلاثة أيام .

كانت الناقة وهي تموت قد تنهدت ثلاث مرات ، ومرت ثلاثة أيام علي الكافرين من قوم صالح ، وهم يسخرون من العذاب وينتظرون ، وفي فجر اليوم الرابع ... انشقت السماء عن صيحة واحدة فقضت علي الجبال .. فهلك فيها كل شئ ، وهلك جميع قوم صالح ، قبل أن يدركوا ما حدث .

أما الذين آمنوا بسيدنا صالح فنجوا من العذاب ، وخرجوا سالمين مع نبيهم عليه السلام .

(٤)

سيدنا إبراهيم والانتصار العظيم

(المعجزة الكبرى)

أرسل الله سبحانه وتعالى سيدنا إبراهيم إلي قومه ، فدعاهم إلي عبادة الواحد الأحد ، وترك عبادة الأصنام ، فقد كانوا يصنعون الأصنام بأيديهم ثم يعبدونها ، بل وكانوا يستشيرونها في مصائرهم وقضايا إيمانهم .

سخر قوم سيدنا إبراهيم منه ، وأنكروا دعوته ، وفي احد الأيام استغل سيدنا إبراهيم فرصة ذهابه إلي أصنامهم . فوجدوها محطمة إلا كبيرهم ، والفأس معلقة برقبته أصابهم الحزن والفزع ، وقالوا : من فعل هذا بآلهتنا ؟ قالوا : لم يفعل هذا إلا إبراهيم ، فإنه هو وحده الذي تحدث معنا بشأن آلهتنا ، وقال لنا : كيف تصنعون هذه الأصنام بأنفسكم ؟ ثم تعبدونها ، إنها لا تستطيع أن تدفع عن نفسها الضر ، فكيف تعبدونها ؟

وعلي الفور .. أحضروا إبراهيم ، وقالوا له : لم فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟

فقال لهم : كيف تكون آلهة ، وهي لا تستطيع أن تدافع عن نفسها ، أسألوا كبيرهم هذا إن كان ينطق .

اغتاظ القوم من سيدنا إبراهيم ، واتفقوا علي أن يحرقوه في النار. فبنوا بيتاً للنار ، ووضعوا فيه حطباً كثيراً ، ثم أوقدوها فاشتعلت النار واشتدت ، وامتد لهبها إلي بعيد من كثرة ما جمع لها

من حطب ،حتى إن الطائر لو مر من أمامها ، لاحترق من شدة وهجها.

اجتمع الناس جميعاً أمام النار ، لينظروا ويشفوا غليلهم في هذا الفتى المتمرد علي آلهتهم ، وربطوا سيدنا إبراهيم بالحبال وأحكموا وثاقه ، وألقوه في وسط النار ، وهي مشتعلة ، وبذلك يستريحون منه إلي الأبد ، وينصرون آلهتهم .

فلما أرادوا ألقاءه في النار .. أتاه خزان الماء ، وهو في الهواء قبل أن يصل إلي النار ، فقالت الملائكة لإبراهيم :

إن أردت .. أخمدنا النار بالماء ، فقال لهم لا حاجة لي إليكم.

وأتاه ملك الريح فقال له : لو شئت طيرت النار ، فقال له:لا.

ثم رفع سيدنا إبراهيم رأسه إلي السماء ، فقال : اللهم أنت الواحد في السماء ، وأنا الواحد في الأرض ليس أحد يعبدك غيري ، حسبي الله ونعم الوكيل .

وهنا استجاب الله دعاء إبراهيم ، لأنه فوض أمره إليه ، ولم يرض بواسطة ، بل كان الاتصال مباشراً بينه وبين خالقه .

فأمر الله سبحانه وتعالى النار أن تكون برداً وسلاماً عليه ، فلم تحرق النار من إبراهيم إلا وثاقه ، وجعل الله سبحانه وتعالى في النار برداً وسلاماً يرفع حرها وبردها ، فصارت سلاماً عليه ، فلو لم يتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها .

وفي لحظات كان إبراهيم وحده في النار وقلبه مملوء بالإيمان وبنور الحق ، ولم يلجأ إلي مخلوقات أو ملاك ، وإنما لجأ إلي الله سبحانه وتعالى ، فنجاه من محنته ونصره علي قومه المشركين .

(٥)

سيدنا إسماعيل عليه السلام

رجع سيدنا إبراهيم عليه السلام من مصر إلي فلسطين وكانت معه زوجته سارة وجاريتها هاجر ، التي أهداها له ملك مصر لتخدم زوجته ، وكان سيدنا إبراهيم قد صار عجوزاً وأبيض شعره ، وكبرت سارة أيضاً ، وصارت عجوزاً ، ومضت فترة طويلة ، ولم يرزق إبراهيم بولد ، لأن زوجته سارة كانت عقيماً لا تلد .

وعرفت سارة أن سيدنا إبراهيم مشتاق إلي الولد ، ليخلد ذكره من بعده ويرثه ، فعزمت أن تقدم لسيدنا إبراهيم جاريتها "هاجر" ، لتكون زوجة له ، فعسى أن يرزقه الله منها بولد ، فتكتمل سعادتهما ، ويعيشوا معا في سرور .

وهكذا .. زوجت سارة سيدنا إبراهيم من جاريتها ، ولم يمض وقت قصير .. حتى حملت هاجر ، ففرح سيدنا إبراهيم ، وفرحت سارة ، وفرحت هاجر .

ولما تمت فترة الحمل ، ولدت هاجر طفلاً جميلاً ، فرح به سيدنا إبراهيم وسماه إسماعيل .

وصار سيدنا إبراهيم يحمل طفله إسماعيل ويداعبه ويلعب معه ويقبله ، وتكرر هذا العمل أمام سارة ، فأخذت تتغير قليلا ، قليلا. وبمرور الأيام .. زادت غيرتها من هاجر ، فلم تستطع رؤيتها هي وطفلها أكثر من ذلك ، فقالت لسيدنا إبراهيم :

اسمع يا إبراهيم .. أنا لا أحب أن أرى هاجر وأبنها ، فأبعدها وانقلها ، هي وأبنها ، إلي مكان بعيد .

فعز علي سيدنا إبراهيم فراق أبنه الوحيد ، ولكن الله أوحى إليه أن ينفذ رغبة زوجته .

وفي الصباح ..استيقظ سيدنا إبراهيم ، وأمر زوجته هاجر أن تحمل أبنها وتستعد للسفر .

وظل إبراهيم يسير وسط أرض مزروعة ، تأتي بعدها صحراء ، تجئ بعدها جبال .. حتى دخل علي صحراء شبه الجزيرة العربية ، وقصد سيدنا إبراهيم وادياً ليس فيه أي علامات للحياة .. ليس فيه زرع ولا طعام ، وفي هذا الوادي .. ترك زوجته وأبنها إسماعيل وحدهما ، ولم يكن معها إلا جراباً فيه بعض الطعام وقليل من الماء .. لا يكفيهما إلا يومين ، ثم استدار وتركهما .. فأسرعت خلفه هاجر ، وهي تقول له :

كيف تتركنا يا إبراهيم وحدنا في هذا المكان المقفر ، الذي ليس به إنسان وليست به أي معالم للحياة ؟

لم يرد عليها سيدنا إبراهيم .. وظل يسير .. وعادت تقول له:

هل هان عليك ابنك إسماعيل إلي هذا الحد ؟ وكيف تحتمل فراقه ؟

ولكن سيدنا إبراهيم لم يلتفت إليها ، بل ظل يسير ، وأخيراً فهمت أن سيدنا إبراهيم لا يتصرف هكذا من نفسه ، وأدركت أن الله أمره بذلك ، فسألته : هل أمرك الله بهذا ؟

قال سيدنا إبراهيم عليه السلام : نعم

فقالت زوجته هاجر : لن نضيع مادام الله معنا ، وهو الذي أمرك بهذا .

وسار سيدنا إبراهيم حتى وصل إلي مكان آخر ، يمكنه أن يرى منه ولده الحبيب ، فتوجه إلي الله ، وراح يدعو الله قائلاً :

ربي إني أسكنت من ذريتي عند بيتك المحرم ، في هذا الوادي الذي ليس به زرع ولا ماء ولا طعام ، ليعبدوك هنا يا رب ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فأجعل الناس يقبلون عليهم ، وأرزقهم من كل الثمرات ، لعلهم يشكرون .

لم يكن بيت الله قد بني بعد ، ولم تكن الكعبة قد بنيت ، وكانت هناك حكمة عليا في هذه التصرفات .. كان هذا الطفل هو الذي سيصير مسئولا مع والده عن بناء الكعبة فيما بعد .. وكانت حكمة الله تقضي بأن يمتد العمران إلي هذا الوادي ، وأن يقام فيه بيت الله الذي نتجه إليه جميعا أثناء الصلاة .

ومكثت هاجر في هذا الوادي ، هي وأبنها تأكل وتشرب ، وترضع إسماعيل ، حتى نفذ الطعام والشراب منها بعد يومين ، فعطشت هاجر ، وعطش إسماعيل وصار يبكي ويتلوى من شدة العطش ، وأخذت تبحث عن أي مصدر للماء ، فراحت تمشي حتى وصلت إلي جبل اسمه " الصفا " فصعدت إليه ، وراحت تبحث عن أي بئر ، أو إنسان ، أو قافلة فلم تجد .

وسمعت هاجر أبنها يبكي ويتلوى من العطش ، فنزلت مسرعة من أعلى الجبل واتجهت إلي جبل آخر اسمه " المروة " وراحت تبحث منه عن أي مصدر للماء فلم تجد ، فرجعت إلي جبل الصفا تبحث منه عن أي مصدر للماء فلم تجده كذلك .

فعلت هاجر ذلك سبع مرات ، فصار فعلها هذا – فيما بعد- فرضاً علي المسلمين ، إذا حجوا بيت الله الحرام بمكة ، فهم يسعون بين الصفا والمروة سبع مرات ، كما فعلت هاجر من قبل .

عادت هاجر بعد المرة السابعة ، وهي مجهدة متعبة ، تلهث .. وجلست بجوار أبنها الذي كان صوته قد بح من البكاء والعطش ..

وفي هذه اللحظة اليائسة أدركتها رحمة الله ، وضرب سيدنا إسماعيل بقدمه الأرض ، وهو يبكي فانفجرت تحت قدمه بئر زمزم...

وفار الماء من البئر ، وراحت الأم تغرف الماء بيديها ، وهي تشكر الله .. وشربت وسقت طفلها ، وبدأت الحياة تدب في المنطقة .

وكانت هناك قبيلة عربية تسمى " جرهم " تسير بالقرب من هذا الوادي ، الذي تسكنه هاجر ، لتبحث عن المراعي والماء لإبلها وماشيتها .

فرأوا طائراً يحوم في السماء فوق المكان الذي نبع فيه الماء ، وكانوا يعرفون من تجاربهم أن الطيور لا تحوم إلا علي الماء .

فتعجبوا وقالوا :

إننا نعرف هذا المكان جيدا وقد سرنا فيه من قبل ، ولم نجد فيه ماءً أو زرعاً ، فكيف يحوم هذا الطائر فوق مكان لا ماء فيه ؟

ولما ذهبوا إلي هذا المكان ووجدوا الماء ، فرحوا به فرحاً شديداً ، واستأذنوا هاجر في أن يشربوا ، ولما شربوا .. طلبوا من هاجر أن تسمح لهم بالنزول بجوار الماء .

وكانت هاجر تريد أن يجاورها الناس ، ويؤنسوها ويتعاونوا معها ، فرضيت بنزول قبيلة جرهم حول زمزم .

وكبر إسماعيل ، وصار طفلاً يمشي واختلط بأطفال القبيلة ، وتعلم اللغة العربية وصار متقناً لها . وأحبه أهل القبيلة ، لما وجدوا فيه من أخلاق كريمة ، وصفات حميدة .

ورأي سيدنا إبراهيم حلماً عجيباً ، إذ رأي هاتفا يقول له :

اذبح ولدك إسماعيل .

فقام من نومه مفزعا ، واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، وراح في نوم عميق : فرأي الهاتف يخاطبه مرة أخرى ، قائلاً : يا إبراهيم اذبح ولدك إسماعيل .

فعرف سيدنا إبراهيم أن هذا أمر من السماء، فعزم علي تنفيذه.

وصل سيدنا إبراهيم إلي مكة ، فوجد أبنه إسماعيل قد كبر وصار غلاماً جميلاً ، وجلس سيدنا إبراهيم مع ولده إسماعيل ، وغمره بحبه وحنانه ، وقال له :

يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك ، لتكون قرباناً إلي الله ، فما رأيك في هذا الأمر ؟

فقال له سيدنا إسماعيل :

يـا أبـت أفعـل مـا أمـرك الله بـه ، وسـتجدني إن شـاء الله مـن الصابرين .

وهكذا .. أطاع الابن والده ، وأطاع الأب خالقه ، وأخذ سيدنا إبراهيم ولده ، وأخذ حبلاً ليقيده به ، وسكيناً ليذبحه وسار به إلي الجبل.

ولما وصل سيدنا إبراهيم إلي الجبل .. ألقى سيدنا إبراهيم ولده إسماعيل علي الأرض ، ووضع السكين علي عنقه ، ولكن السكين صارت كأنها قطعة من الخشب ، فلم تذبحه ، وتعجب إبراهيم ورفع وجهه إلي السماء ، وإذا به يسمع صوتاً يناديه ويقول :

قف يـا إبـراهيم ، لا تـذبح ولـدك ، لقد صدقت الرؤيا ، فلك الأجر العظيم !!

ورأي ملكاً يحمل كبشاً ويقدمه إليه ، ففك ولده من القيود ، وذبح الكبش ، وعاد إلي زوجته ، فرحاً بنجاة ابنه إسماعيل .

وجعل الله سبحانه وتعالى هذا اليوم الذي أطاع فيه الأب ربه عيدا يحتفل به المسلمون في الأرض .. ويذبحون فيه أضاحي العيد ، ويذكرون فيه قصة نبيين ، كانا مثلاً أعلى في حب الله وطاعة أمره .

وعاد سيدنا إبراهيم إلي سارة في فلسطين ، وهو مسرور ، لأنه أرضى ربه ، وبقى إسماعيل مع أمه هاجر ، ولما كبر ، وصار رجلا .. تزوج من بنات القبيلة ، وعاشت أمه قليلاً ، ثم ماتت .

وبينما كان سيدنا إبراهيم في فلسطين ، تلقى أمراً جديداً من الله .. أمره الله سبحانه وتعالى أن يبني الكعبة في مكة ، ليحج إليها الناس.

فخرج سيدنا إبراهيم قاصداً مكة ، فلما وصل إليها .. وجد ابنه إسماعيل وعانق أباه ، ولما استراح سيدنا إبراهيم من تعب السفر ، قال لأبنه إسماعيل :

لقد أمرني الله أن أبني الكعبة ، وأريد أن تساعدني في البناء.

فقال إسماعيل :

اطلب ما تشاء يا أبي ، ونفذ كل ما أمرك الله به ، فإن الله لا يأمرك إلا بالخير .

وبدأ سيدنا إبراهيم وأبنه إسماعيل في تنفيذ أمر الخالق .. وشرعا في بناء الكعبة ، وراح إسماعيل ينتقى الأحجار من الجبال ، ويحملها علي كتفه ، وبدأ سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل في حفر الأرض إلي عمق ، وألقيا الأساس ... ويوماً بعد يوم ، وشهراً بعد شهر راحت الجدران تعلو وترتفع ، وكان هذا أول بيت وضع للناس ، وسيظل هذا المكان أشرف بقعة علي الأرض ، وأراد سيدنا إبراهيم أن يجعل علامة في الكعبة يبدأ منها الحجاج طوافهم ، فبحث عن حجر يختلف لونه عن لون أحجار الكعبة ، فأحضرت له الملائكة الحجر الأسود ، فقبله إبراهيم ، ووضعه في مكانه في البيت ، وانتهى بناء البيت .. بيت الله الحرام ، وشّرف الله بيته الحرام ، فأمر الناس بالحج إليه ، وبالطواف حوله ، وجعل الله الصلاة في المسجد الحرام، أعظم من مائة ألف صلاة في أي مسجد آخر .

وكان إبراهيم وإسماعيل يدعوان الله ، وهما يبنيان الكعبة قائلين:

ربنا تقبل منا هذا العمل خالصا لوجهك ، إنك تسمع دعاءنا ، وتعلم ما في نفوسنا .

وعاش إسماعيل زمناً طويلاً ، ورزق أثنى عشر ولداً من زوجته الصالحة الطيبة ، وعاش الجميع في سعادة وسرور .

(٦)

سيدنا لوط عليه السلام

كان لسيدنا إبراهيم عليه السلام ابن أخ أسمه لوط ، ولما اختار الله سيدنا إبراهيم ، ليكون رسولاً إلي قومه ، ويدعوهم إلي ترك عبادة الأصنام ، وعبادة الواحد الأحد ، آمن به سيدنا لوط ، وغضب قومه عليه ، لأنه كسر أصنامهم ، فألقوه في النار وهي مشتعلة ، ليحرقوه ويتخلصوا منه ، ولكنه خرج منها آمناً ، معافى البدن ، ،وعرف سيدنا إبراهيم أن قومه لا يؤمنون به مهما دعاهم ، فترك بلاده بابل ، وهاجر منها إلي الشام ومصر .

وكان سيدنا لوط يحب عمه إبراهيم حباً شديداً ، فترك بلاده ، وهاجر معه ، لينصره ، ويعبد الله علي دينه الصحيح .

وأقام لوط مع عمه فترة طويلة في مصر والشام ، فكثرت إبل وغنم لوط وسيدنا إبراهيم ، وضاقت بها أرض مصر والشام ، فطلب سيدنا لوط الهجرة إلي مكان آخر ، يكون قريباً منه ، ويجد فيه مرعى لإبله وغنمه .

سمح سيدنا إبراهيم لابن أخيه لوط أن يهاجر إلي أرض سدوم، من بلاد الشام (الأردن حاليا) .

أقام لوط في قرية سدوم ، فوجد أهلها يرتكبون جرائم فظيعة جداً ، لم يرتكبها أحد من قبل .

رآهم يرتكبون الفاحشة ، ويظلمون الناس ويقطعون الطريق علي المسافرين ، ويسلبون أموال التجار ، ويتفاخرون بفعل هذه الجرائم ، ويظهرونها ولا يخجلون من إظهارها وارتكابها .

فلما رأى سيدنا لوط .. ظلم هؤلاء القوم وفسادهم الشديد .. صعب عليه أن يستمر في هذا الظلم ، وهذا الفساد ، فراح يدعو الله أن يصلح قومه ، ويرشدهم إلي الطريق المستقيم ، وسمع الله سبحانه وتعالى دعاء سيدنا لوط ، فأختاره ، ليكون رسولاً لهم يدعوهم إلي عبادة الواحد الأحد ، ويدعوهم إلي ترك الظلم والشر ، ليساعدهم ويخلصهم من الجرائم القبيحة التي يرتكبونها .

وذهب سيدنا لوط إلي قومه ، يدعوهم إلي عبادة الله الواحد الأحد ، وصار ينصحهم ويعظهم ، ويبين لهم أن هذه الجرائم لا يصح أن يرتكبها إنسان عاقل .. وأخذ يرشدهم إلي الطريق المستقيم ، ليتوب الله عليهم ويسامحهم علي ذنوبهم ، التي ارتكبوها .

فلم يستمعوا إليه ، ولم يقبلوا نصيحته ، ولم يصدقوه .. فصاروا يسخرون منه .

ظل سيدنا لوط ، يدعو قومه زمناً طويلاً ، فكانوا لا يزيدون إلا شراً وفساداً وكفراً .

ولما يئس سيدنا لوط من إصلاح قومه .. دعا ربه وقال :

يا رب .. إن هؤلاء القوم يفعلون كل ما يغضبك ، وسيقع عليهم العذاب الشديد . فنجني يا رب من فسادهم وأفعالهم القبيحة ، وخلصني أنا وأهلي من العقاب الذي ستعاقبهم به !!

استجاب الله لدعاء لوط ، وأرسل الله سبحانه وتعالى ملائكته الكرام ، علي صورة بشر كرام الهيئة إلي قومه ، ليدمروا قريتهم ويبيدوها شر إبادة ، ويهلكوا أهلها الظالمين الفاسدين .

فلما وصل الملائكة إلي قرية سدوم .. وكان الوقت ليلاً ، شاهدوا فتاة طيبة تقف علي باب القرية ، تملأ قربتها ماء من البئر ، فتقدموا منها ، وقالوا لها :

أيتها الفتاة : إننا غرباء مسافرون وقد أظلم علينا الليل ، وصرنا لا نقوى علي السير ، فهل تسمحين لنا بالنزول في دار أبيك.

فابتسمت الفتاة ، وقالت لهم :

انتظروا هنا حتى أسأل أبي ، وأطلب منه الأذن لكم ، وكانت هذه الفتاة هي ابنة سيدنا لوط .

أسرعت ابنة سيدنا لوط إلي أبيها ، لتقول له إن هناك ضيوفاً ، يريدون أن ينزلوا في بيته ، وقالت له :

أبي ضيوف غرباء .. ما رأيت وجوه قوم أحسن من وجوههم فقال لها أبوها :

أين هم ؟ يا فضيحتي يا عاري !! سيعتدي عليهم أهل هذه القرية الفاسدون الفجرة ، وسيفضحونني مع ضيوفي .

ماذا أصنع يا ابنتي ؟ وكيف اعتذر لهؤلاء الضيوف ؟ إني رجل ضعيف ، وهم كثيرون أقوياء ، هل اقفل باب بيتي في وجوههم؟؟

فقالت له ابنته :

لا تحزن ولا تفكر في هذا الأمر ، فإن الدنيا ليل والظلام شديد، ونستطيع أن ندخلهم الدار ، فلا يراهم أحد من هؤلاء الكافرين.

وخرج سيدنا لوط ، واستقبل ضيوفه ببشاشة وسرور ، وأخذهم إلي منزله – سراً – تحت ستر الظلام ، وما كادت امرأته تراهم ، حتى خرجت إلي قومها تخبرهم بقدومهم ، وتقول لهم :

لقد نزل في بيت لوط ضيوف ، ما رأيت أجمل منهم في حياتي ولا أطيب منهم ريحاً، فتعالوا لتروهم ، قبل أن يهرب بهم لوط.

وأقبل أهل سدوم علي بيت لوط والفرح يملأ قلوبهم ، فلما رأوا ضيوفه قالوا له :

لقد نهيناك أن تستقبل أحداً في دارك . وأنت الآن خالفت ما نهيناك عنه ، فلابد أن تسلمنا ضيوفك ، لنتصرف معهم كما نحب .

فأجابهم لوط ، وهو حزين :

يا قوم ، هؤلاء ضيوفي .... فلا تفضحوني معهم .. فاتركوهم ، وخذوا بناتي ، تزوجوهم علي سنة الله ورسوله

فقالوا ، وهم في غاية الفجور والفسق :

إننا لا نريد غير ضيوفك ، وأنت تعلم ما نريد .

فنظر لوط إلي الضيوف ، وقال لهم :

يا ليتني أجد عندكم قوة ، تساعدني علي هؤلاء الفاجرين الفاسدين !!

فلما رأى الضيوف حيرته ودهشته ، قالوا له :

لا تخف ولا تحزن يا لوط ، نحن ملائكة أرسلنا الله إليك ، وقد جئنا لنهلك هؤلاء الفاسدين الفاجرين ، ولن يصل إلينا شرهم . فأخرج أنت وأهلك في الليل من هذه القرية ، ولا تلتفتوا إلينا إذا خرجتم .

وما كادوا ينتهون من قولهم ، حتى أصبح أهل سدوم لا يرون ولا يبصرون ، وعجزوا عن الوصول إلي الملائكة الكرام .

فمضى لوط هو وأهله خارج القرية بسلام ، أما امرأته الكافرة فقد حنت إلي قومها الكافرين الفاسدين ، وأشفقت عليهم ، وخالفت نصيحة الملائكة ، فسقط عليهم صخر من السماء كان معداً لها ، فهلكت مع قومها الفاسقين الفاسدين .

وأرسل الله علي القرية زلزالاً شديداً ، وأنزل عليها أمطاراً من الحجارة ، فلم يبق فيها أحداً إلا أهلكته ، وأصابت الحجارة كل من كان مخالفاً للوط ، ومرتكباً للفاحشة ، وتلك هي قدرة الله ... ينصر رسله بالبينات والهدى .

(٧)

سيدنا يونس عليه السلام والحوت

أرسل الله يونس عليه الصلاة والسلام إلي أهل " نينوي " ، وهي قرية في أرض الموصل . وكان أغلب الرسل حول هذه الجهات من فلسطين ، والشام والبلاد المجاورة لها ، وكان أهل هذه القرية يعبدون الأصنام ، فدعاهم سيدنا يونس إلي الإيمان بالله ، فرفضوا وظلوا علي شركهم ، وتمادوا فيه .

ظل يونس يدعوهم تسع سنين ، وعندما يأس من إيمانهم .. أوحى الله إليه أن ينذرهم بالعذاب إلي ثلاث ، ففعل ، ثم خرج من بين أظهرهم ، ورحل عنهم وهو غضبان لأنهم كذبوه .

وعندما جاء الليل .. تزود سيدنا يونس بالطعام ، وخرج بعيدا عنهم ، فأصبحوا لم يجدوه ، فلما فقدوا نبيَهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم ، قذف الله في قلوبهم التوبة ، فتابوا عن عبادة الأصنام وأمنوا بالله ، وطلبوا منه المغفرة والتوبة ، وخرجوا إلي الصحراء ، بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم ، وفرقوا بين الأمهات وأولادها ، وردوا المظالم، فلما صحت توبتهم رفع الله عنهم العذاب ، فقال الله تعالي : " فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلي حين " .[١]

وأما يونس عليه السلام ، فقاده الغضب إلي شاطئ البحر حيث ركب سفينة مشحونة ، فناوأتها الرياح والأمواج : فقال الملاحون : ههنا عبد أبق من سيده ، ولابد لنجاة السفينة من إلقائه في الماء لتنجو من الغرق ، فاقترعوا ثلاث مرات ، فخرجت القرعة علي يونس ،

---

(١) سورة يونس : آية ٩٨.

وهم يتلطفون به ، ويأبون أن يلقوه ، قال الله تعالى :

" فساهم فكان من المدحضين " (١)

أي فقارع أهل السفينة فكان من المغلوبين بالقرعة ، فقام عليه السلام وتجرد من ثيابه ، وألقى بنفسه في البحر ، فأرسل الله سبحانه وتعالى إليه حوتا يشق البحار ، وابتلعه الحوت حين ألقى بنفسه من السفينة ، لأنه تخلى عن المهمة التي أرسله الله بها ، وترك قومه مغاضبا لهم ، وخرج بغير إذن من ربه ! ولولا أنه كان من الذاكرين الله كثيراً في حياته لبقى في بطن الحوت إلي يوم القيامة ، ولكنه سبح الله واستغفره في بطنه ، ونادى في الظلمات " أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين " (٢) ، فسمع الله تضرعه ونداءه ، وأوحى الله سبحانه وتعالى إلي هذا الحوت ألا يأكل له لحماً ، وألا يكسر له عظماً وأن يلفظه سالماً ، وأدركت رحمة الله نبيه يونس ولحظته العناية الإلهية ، فنبذ بالعراء وهو غير مذموم ، وأنبت الله سبحانه وتعالى عليه شجرة من يقطين ، لها ظل خاص ، فاستظل سيدنا يونس بظلها ، ثم أرسل الله له من يمده بالغذاء ، حتى عادت إليه قوته .

ثم اجتباه ربه فجعله من الصالحين ، وأمره أن يرجع إلي قومه، ويخبرهم أن ربهم تاب عليهم ، فرجع إلي قومه . وفي أثناء الطريق .. قابله راعي غنم فسأله عن أحوال قومه فقال له الراعي : إنهم بخير ، يدعون الله سبحانه وتعالى أن يعود إليهم رسولهم .

فقال سيدنا يونس للراعي : أخبرهم أنك لقيت يونس عليه السلام . فقال الراعي لسيدنا يونس : لا أستطيع إلا بشاهد ، فسمي له سيدنا يونس عنزاً من غنمه ، قال له :

هذه تشهد لك أنك لقيت يونس .

---

(١) سورة الصافات آية ١٤١

(٢) سورة الأنبياء آية ٨٧.

فقال الراعي لسيدنا يونس : وماذا ؟

قال سيدنا يونس للراعي : وهذه الشجرة ، تشهد أنك لقيت يونس فرجع الراعي إلي قوم سيدنا يونس ، وأخبرهم أنه لقي يونس عليه السلام ، فكذبوه وكادوا يفتكون به ، فقال لهم : لا تعجلوا علي حتى يصبح الصباح ، فلما استيقظ من نومه ، ذهب بقوم سيدنا يونس إلي المكان الذي لقيه فيه ، فاستنطقه فأخبرهم أنه لقي يونس، واستنطق الشجرة والعنزة فأخبرتاهما ، أنه لقي يونس .

وعاد يونس عليه السلام فرحا بنجاته ، وقبول توبته ، وتوبة قومه عند الله ، فأصبحوا من المؤمنين .

(٨)

سيدنا يوسف عليه السلام وإخوته

كان سيدنا يوسف عليه السلام غلاماً جميلاً جداً ، كامل الأخلاق ، طاهر القلب والنفس ، ذكي العقل . وأبوه هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام .

ماتت أمه راحيل بعد ولادة أخيه بنيامين بالحمى ، وتركت وليديها الصغيرين ورزق سيدنا يعقوب أثنى عشر ولداً ، من زوجاته الأربع .

حزن يعقوب لموت زوجته راحيل ، لأنها كانت أحب نسائه عنده ، وصار يعطف علي ولديها يوسف وبنيامين عطفاً ظاهراً .

وكان سيدنا يوسف جميلاً في أخلاقه وطباعه وطاعته ، فأحبه أبوه ، أكثر مما يحب إخوته ، وزاد تعلق أبيه به ، فكان لا يفارقه في يقظة ولا نوم .

شعر أبناء سيدنا يعقوب بحبه ليوسف ، وتفضيله عليهم ، فغاروا من يوسف ، وحقدوا عليه لمنزلته عند أبيهم ، وأخذوا يتآمرون عليه ويدبرون له الشر .

اتفق إخوة يوسف علي التخلص منه ، ليفرقوا بينه وبين أبيه ، وليخلوا لهم محل يوسف من قلب يعقوب .

كان يوسف – ساعتها – نائما يحلم ... ورأى في المنام أحد عشر كوكباً يسجدون له ، والشمس والقمر ساجدين له أيضا .

ذهب يوسف في الصباح إلي أبيه ، وحياه وقص عليه ما رآه في نومه فابتسم يعقوب وفرح ، وعرف أنه كان علي حق في حب

يوسف ، لأنه سيكون رسولاً كريماً ، كبير المنزلة ، فقال له سيدنا يعقوب :

هذا حلم جميل حقاً يا يوسف ، وسيكون لك شأن كبير في المستقبل ، فلا تخبر به إخوتك ، لأنهم إذا عرفوه ، زاد حقدهم عليك ، فدبروا لك المكائد ، وأوقعوك في الضرر والأذى .

اجتمع إخوة يوسف في ناديهم ، وأخذوا يتشاورون في تدبير مؤامرة كيدية له ، ليرتاحوا منه إلي الأبد ، وكان كل منهم يدلي برأيه في تلك المؤامرة ، فقال أحدهم :

لقد صبرنا وصبرنا ، وكنا نرجو أن نجد في قلب أبينا مكاناً .. ولكن يوسف شغل كل قلبه ، ولم يترك مكاناً لأحد ... !!

وقال الثاني :

إنكم تطمعون في أمل بعيد !! وتمنون أنفسكم أماني كاذبة .. فلن يعود إليكم أبيكم ، مادام يرى يوسف أمامه .

فأسرع ثالث ، وقال :

اقتلوا يوسف أو ارموه في مكان بعيد ، حتى يختفي عن عين أبيكم ، ويخلوا لكم قلب أبيكم .

واستراحوا لهذا الرأي ، فصاحوا جميعاً :

نقتله !! لابد من قتله ! لقد استحوذ علي قلب أبينا !! ولم يعد لنا مكاناً فيه ، ونحن نريد قلب أبينا .

وكان أكبرهم عاقلاً وهو " يهوذا " ، فلم يشترك معهم في إبداء الرأي ، فلما رأى أنهم اجتمعوا علي قتل يوسف .. تحركت في قلبه الشفقة علي يوسف ، وقال لهم :

لا تقتلوا يوسف، وإذا كنتم تريدون أن تبعدوه عن وجه أبيكم .. فيكفي أن تلقوه في بئر بالصحراء في طريق القوافل ، وقد تمر قافلة ،

تريد أن تشرب من البئر ، فتأخذه معها . وبذلك تبعدونه عن وجه أبيكم ، ولا ترتكبون جريمة قتل .

ولما أحكموا عزمهم، وأجمعوا أمرهم علي إنفاذ جريمتهم البشعة ، ذهبوا إلي يعقوب ، وكان يوسف جالساً - بجانبه - وقالوا له :

يا أبانا ، سنخرج للصيد واللعب في الصحراء القريبة ، فهل تسمح بأن ترسل معنا أخانا يوسف الحبيب ، ليلعب معنا ، ويتمرن علي الصيد ، ويعرف حياة الصحراء ؟ وسيعود إليك أكثر نشاطاً وفرحاً وسروراً ، وإنا له لحافظون ، فلا نفرط فيه لحظة ، ولا ندعه يبتعد عنا ، وكلنا له حارسون حافظون .

وكان سيدنا يعقوب ، يعرف أنهم يغارون منه ، وأنهم لا يحبونه ، فخاف أن يرسله معهم ، وقال لهم :

إن يوسف طفل صغير ، وسوف تشغلون عنه بالصيد .. وأخاف أن يأكله الذئب ، وأنتم عنه غافلون .

فقالوا له :

أهذا معقول !؟ نحن أحد عشر رجلاً ، وتخاف ، أن يأكله الذئب .. إن معنا أسلحتنا سنحرسه بها جيداً ، ولو اجتمعت كل ذئاب الصحاري ما استطاعت أن تصل إلي يوسف ، فلا تخاف عليه ولا تقلق .

وسمح لهم الأب ، نتيجة إلحاحهم ، أن ياخذوا يوسف ، ولما بعدوا في الصحراء ، ضربه أحدهم بيده علي وجهه ضربة قوية ، فبكى يوسف وقال لهم :

رحمتكم يا إخوتي !! إني لم أفعل معكم شيئاً ، يستحق العقاب والضرب .

فالتفتوا حوله وقالوا له :

أنت لم تفعل ذنباً ! إنك حرمتنا حب أبينا ، وشغلت كل قلبه!!

فلما اشتد أذاهم له ، قال كبيرهم :

حرام عليكم !! لماذا تضربونه ؟! لقد اتفقنا أن نلقيه في البئر .. فهيا ابحثوا عن بئر نلقيه فيه .

فسحبوه إلي البئر من غير شفقة ، وربطوا يديه وقد نزعوا عنه قميصه ، ثم ألقوه في ماء البئر وهو يبكي ويتوجع ويقول لهم :

ردوا علي قميصي لأستتر به في البئر .

فقالوا له : أدع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتؤنسك .

ولطخوا قميص يوسف بدم أحد الغزلان التي صادوها ، ورجعوا إلي أبيهم في العشاء ، يبكون ويظهرون الجزع والحزن الكاذب ، فلما رآهم يعقوب ولم يجد يوسف معهم ، امتلأت نفسه بالحزن والأسى وقال لهم :

لماذا تبكون ؟ وأين يوسف ؟

فأجابوه ، وهم يبكون بحرارة :

يا أبانا إنا ذهبنا نتسابق كعادتنا ، وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب ..... !

نعرف أنك لن تصدقنا ، ولكننا نقول لك حقيقة ما حدث .. .. وأمسك سيدنا يعقوب بقميص يوسف ، فلاحظ أن القميص ملطخ بالدماء ولكنه سليم .

فقال سيدنا يعقوب لأبنائه :

أكله الذئب ....؟؟ وكيف يأكله الذئب ولا يمزق قميصه ؟ إنه ذئب رحيم جداً لأنه أكله ولم يمزق قميصه .. أعرف أنكم تكذبون ، إن الشيطان ملأ نفوسكم شراً ، وزين لكم قتل أخيكم !! والله يمنحني الصبر الجميل ويعينني ويساعدني ، علي مصيبتي في يوسف .

وأخذ القميص ، وراح يبكي ليلاً ونهاراً ، حزناً علي ابنه وشغل بحزنه وآلامه ، فلم يخل لهم قلبه كما كانوا ينتظرون .

وجاءت قافلة تحمل تجارة ، وتسير بها من الشام إلي مصر ، ومرت القافلة بالبئر ، التي ألقى فيها يوسف ، فأرسل التجار جماعة منهم ليملئوا لهم القرب من البئر .

وأدلى أحدهم دلوه في البئر ، فأحس أنها ثقيلة ، فتعجب وظن أنها حملت صخرة كبيرة ، وصار يجذب ويجذب ، اقتربت الدلو من حافة البئر ، فصاح في فرح وسرور :

يا بشراي !! هذا غلام جميل ، والتف حوله زملاؤه ، وقالوا :

هذا غلامنا جميعاً ... نحن شركاء فيه إنه رزق حلال ، وعادوا به إلي القافلة .

وصلت القافلة إلي مصر ... وعرضوا يوسف في سوق الرقيق، فاشتراه العزيز ، وهو وزير مصر بثمن بخس ، دراهم معدودة ، ورأى العزيز في يوسف ذكاءً وأخلاقاً كريمة ، فأحبه وأوصى عليه زوجته ، وقال لها :

أكرميه وأحسني معاملته ، عسى أن ينفعنا ، أو يكون لنا ولداً .

عاش يوسف في بيت العزيز ، حتى كبر وصار شاباً يافعاً ... وكان وجهه يحمل من الجمال طاقة عظيمة .

تعلم يوسف كثيراً من العلوم ، التي كانت معروفة في مصر ، في ذلك الوقت ، وصار يوسف مسئولاً ومشرفاً علي كل شئ في بيت سيده ، حتى ظهرت براعته ، وتجلت حكمته في إدارة ذلك البيت .

أحبت زوجة العزيز يوسف ، فبدأ يهرب منها ويتجنبها ،لأنه يخاف من معصية ربه ، فأتهمته بالخيانة وأوقعت بينه وبين زوجها ، فأدخله السجن .

دخل يوسف السجن ، وصبر علي هذه المحنة الجديدة ، وفضل السجن علي الإقامة مع امرأة العزيز الشريرة .

وكان يوسف في السجن يعود المريض ، ويداوي الجريح ، ويطوف علي المسجونين ، ويخفف عنهم الآلام التي يشعرون بها ، وكان يصلى الليل كله ، فطهر به السجن ، واستأنس به أهله ، وأحبه صاحب السجن فوسع عليه فيه ، حتى قال له : يا يوسف ! لقد أحببتك حباً لم أحب مثله أحداً ، فقال يوسف : أعوذ بالله من حبك ، قال : ولم ذلك ؟ فقال : أحبني أبي ففعل بي أخوتي ما فعلوه، وأحبتني سيدتي فنزل بي ما ترى .

ولما شعر يوسف أن المسجونين أطمأنوا إليه ووثقوا بكلامه ، راح يبين لهم أن عبادة الأصنام التي لا حول لها ولا قوة عبادة خاطئة، وأن للكون رباً واحداً ، وهو الأحق بالعبادة وأنه لو كان مع الله آلهة أخرى ، لفسد كل شئ في الدنيا .

اتهم ملك مصر خادمه الذي يسقيه ، وطباخه الذي يطبخ له ، بأنهما حاولا أن يدسا له السم في الطعام والشراب ، فأمر بحبسهما حتى يتم التحقيق في شأنهما .

وفي ذات ليلة رأى كل منهما حلماً ، وكان سيدنا يوسف قد اشتهر في سجنه بتأويل الأحلام فأقبلا عليه ، وقصا عليه حلمهما ، وطلباً منه أن يفسر لهما الحلمين .

فقال له الساقي :

- إني رأيت في الحلم أنني أجمع عناقيد العنب ، وأعصرها ، وأصنع منها خمراً .

وقال له الطباخ :

وأنا رأيت كأني أضع فوق رأسي خبزاً ، والطير تأكل منه .

فلما سمع يوسف الحلمين ، لم يخبرهما بمعناهما أولاً ، ولكنه نصحهما ودعاهما إلي عبادة الواحد الأحد ،خير لهما من عبادة الأصنام ، ثم قال للساقي :

- أما أنت فسوف تخرج من السجن ، وتعود إلي عملك السابق في قصر الملك .

ثم قال للطباخ :

وأما أنت فسيحكم عليك بالقتل ، فتصلب علي ساق شجرة ، وتنزل الطير فتنقر رأسك وتأكل منه .

ثم قال للساقي : إذا ذهبت إلي الملك .. فاذكرني عنده .. قل له: إن هناك سجيناً مظلوماً اسمه يوسف . وتحقق تفسير الحلمين ، فقتل الطباخ ورجع الساقي ليسقي الملك ، غير أنه نسى أن يحدث الملك عن يوسف .. أنساه الشيطان أن يذكر يوسف عند الملك ، فمكث يوسف في السجن سنوات .

وفي ذات ليلة .. رأى الملك حلماً مخيفاً مفزعاً .. رأى سبع بقرات سمينات وسبع بقرات هزيلات ضعيفات ، والضعيفات الهزيلات تأكلن السمينات ، كما رأى سبع سنبلات خضر من سنابل القمح وقد التف عليها سبع سنبلات يابسات جافات ، فأهلكتها ، فقام الملك من نومه مفزوعاً مرعوباً ، وأرسل إلي العارفين والعلماء ، فلم يعرف أحد منهم تفسيراً لحلمه ، وقالوا له : هذا حلم لا معنى له ، وهو من عمل الشيطان ، فلا تتحدث به يا مولانا الملك .

وفجأة .. تذكر ساقي الملك يوسف ، وكيف كان يفسر الأحلام في السجن ويعرف كل شئ عن الأحلام ، فحدث الملك عنه ... وأرسل الملك ساقيه إلي يوسف ، فلما وصل إليه قص عليه حلم الملك، فقال له يوسف :

ستأتي علي مصر سبع سنوات يكثر فيها الخصب ، ويزيد فيها الزرع ، وتكثر الحبوب وتنتج الأرض أكثر مما تنتج في العادة ، ثم تأتي بعدها سبع سنوات مجدبة ، يكثر فيها البرد ويقل الزرع ،

وتموت الحيوانات والنباتات ، فإذا لم تخزنوا ما تخرجه الأرض وقت الجدب والجوع .. أصابتكم مجاعة شديدة جداً . وبعد هذه السنوات المجدبة ، يكون الفرج ، ويعم الخير .

ورجع الساقي إلي الملك ، ومعه هذا التفسير الصادق لحلمه ، فلما سمعه الملك ارتاح له وصدقه، وقال :

أحضروا يوسف ، ليكون هو المدبر للأمور في هذه الأعوام الشديدة ، وليخلص البلاد من المجاعة .

وأسرع الساقي إلي يوسف ، يبشره بالخروج من السجن ، وبرضا الملك عنه ، ولكن يوسف قال له :

لقد سجنت مظلوماً ، ولا أقبل أن أخرج من السجن ، قبل أن تثبت براءتي ، فأطلب من الملك أن يحقق في التهمة الظالمة ، التي نسبت إلي ظلماً .

وأحضر الملك امرأة العزيز ، وسألها عن قصتها مع يوسف فقالت له :

إنه برئ ، وقد اتهمته ظلماً ، فأنا المخطئة في حق يوسف ، والنفس دائما تأمر صاحبها بالسوء ، وأرجوا من الله أن يغفر لي ويسامحني .

وخرج يوسف من السجن ، وأستقبله الملك أعظم استقبال ، وعينه وزيراً له ، وبذلك أصبح يوسف مسئولا عن خزائن مصر .

وعرف يوسف من هذه الساعة ، أنه أصبح مسئولا عن تخفيف المجاعة ، وبدأ بحكمته يدخر الحاصلات لسنوات القحط والجفاف ، وكان عليماً وخبيراً ، قد علمه الله وهداه ، فطاف بالبلاد من شمالها إلي جنوبها ، ونظم الري والزراعة ، وبنى مخازن الغلال والحبوب ، وصار يقدم للناس ما يحتاجونه إليه من حبوب بنظام ، ويخزن ما يزيد إلي وقت الحاجة .

ومضت سنوات الرخاء والخصب ، وأقبلت سنوات القحط والمجاعة ، وجاء المصريون إلي الملك يشكون من المجاعة ، فأحالهم إلي يوسف ففتح خزائنه لهم ، وبدأ يبيع الطعام لهم بأسعار زهيدة .

ولم تكن المجاعة في مصر وحدها ، ولكنها كانت في جميع البلاد المجاورة ، فسمع سيدنا يعقوب – وأولاده في فلسطين – بأن عزيز مصر يقدم الطعام والكساء للناس بثمن زهيد قليل .

أرسل سيدنا يعقوب أولاده إلي مصر ، ومعهم تجارة تصلح للبيع والمبادلة في مصر ، وأمرهم أن يقصدوا هذا الوزير الطيب ، ليحضروا منه حاجتهم من الطعام .

دخل إخوة يوسف عليه ، وهو فوق عرش الحكم ، فوجدوه في ملابس فخمة ، فلم يعرفوه ولكنه عرفهم ، فأكرمهم ، ولم يتذكر إساءتهم إليه .

جهز يوسف إخوته بالطعام ، وأمرهم أن يحضروا أخاه الشقيق ، الذي لاحظ أنهم لم يحضروه معهم ... ووضع يوسف عليه السلام في متاعهم الثمن الذي قدموه إليه ، وعادوا إلي أبيهم ، فأخبروه أن وزير مصر منعهم من الشراء ، إلا إذا أحضروا أخاهم الصغير معهم .. وتخوف يعقوب وقال لهم :

آه !! تأخذون معكم بنيامين !! وكيف آمنكم عليه وقد فرطتم في يوسف من قبله !؟ لا ... لا .

وفرغت الحبوب ، ونفد الطعام ، وجاع أولاد سيدنا يعقوب وأهله ، فقال الأولاد لأبيهم :

يا أبانا ، جعنا وجاع أولادنا وأهلنا ، فأرسل معنا بنيامين ، لنحضر ما نحتاج إليه من حبوب ، وسنحافظ عليه أشد محافظة .

ويبدو أن القحط كان شديداً ، فسمح يعقوب لأبنه الصغير بنيامين أن يسافر معهم ، بعد أن حلف أولاده بأنهم سيحافظون عليه

سار أولاد يعقوب إلي مصر ، ومعهم أخيهم بنيامين ، فلما دخلوا به علي يوسف ، استقبلهم كما استقبلهم في المرة الأولى ، وأشار إلي أخيه بنيامين ، إشارة عرف منها كل شئ .

وبعد أن جهزهم بالبضاعة التي طلبوها ، وضع كأس العزيز الفضية في متاع أخيه بنيامين ، وقبل أن ينصرف إخوة يوسف ، نادى المنادي :

إن كأس العزيز سرقت وصدرت الأوامر ألا يتحرك أحد .. وبدأ البحث عنها ...

وقال إخوة يوسف :

لم نأت لنسرق ، نحن جئنا لنشتري طعاماً .

فسألهم يوسف :

ما جزاء من يوجد الكأس في متاعه ؟

قالوا : حاكموه كما تحبون أن تحاكموه .

كان القانون المصري يقضي بأن يصير السارق عبداً لمن سرق .. بدأوا في تفتيش الجمال التي حملت بضاعة إخوة يوسف ، فلم يجدوا شيئاً ، ثم مد الحارس يده في بضاعة شقيق يوسف ، وأخرج الكأس .

فقال يوسف لهم : سوف يصير أخاكم هذا عبداً للعزيز ... إنه لن يرحل معكم .

فقالوا له إخوته : أيها العزيز .. قد أحسنت إلينا أعظم الإحسان، ولهذا الفتي أب كبير ، سيهلك من الحزن ، إن لم يرجع إليه فأتركه من أجل أبيه وخذ أحدنا بدلاً منه .

فقال يوسف لهم :

لا نأخذ إلا من وجدنا الكأس في متاعه .

فأخذوا يتوسلون إلي يوسف ، بأن يأخذ أحدهم مكانه ولكن دون جدوى ... فلما يئسوا منه ، وخرجوا ، قال لهم أكبرهم :

أنتم تعرفون العهد الذي أخذه علينا أبانا ،وأنا لا أقدر أن أرجع إليه دون بنيامين ، فعودوا أنتم ، وأخبروه بما حدث .

رجع الأولاد التسعة إلي يعقوب ، وهم يقولون :

إن بنيامين سرق كأس العزيز ، فأخذه عبداً له ، وإن لم تصدقنا ، فأسأل أهل القافلة ، لأن العزيز فتش متاع بنيامين أمامهم .

فلما سمع يعقوب ذلك ، حزن وبكى وقال لهم : لقد قمتم بتدبير مؤامرة لبنيامين ، كالتي دبرتموها ليوسف فبكي حتى فقد بصره ، ولما أشتد حزنه .. قال لأبنائه :

اذهبوا إلي مصر وابحثوا عن شقيقكم وابحثوا عن يوسف .. فإن رحمة الله واسعة .

ورجع الإخوة التسعة إلي مصر ، دخلوا علي يوسف ، وقالوا له :

يا أيها العزيز ، لقد أصابتنا المجاعة وجئنا بثمن قليل ولكننا نطمع في إحسانك ، وفي أن تطلق سراح شقيقنا بنيامين ، كي يعود إلي والده .

فنظر إليهم يوسف وقال :

هل علمتم ما صنعتم بيوسف وأخيه !! فلما سمعوا منه هذا السؤال ، صاروا كأنهم استيقظوا من نوم فصاحوا :

إنك أنت يوسف !! إنك أنت يوسف

فقال لهم : نعم أنا يوسف ، وهذا أخي بنيامين ! لقد أحسن الله إلينا ، وأخرجنا من الصحاري .

فقالوا له : لقد فضلك الله علينا ، وقد أسأنا إليك أفظع إساءة !! فسامحنا واغفر لنا .

فعفا عنهم ، وأعطاهم قميصه ، وأمرهم أن يعودوا به إلي أبيه ويلقوه علي وجهه ، فيعود إليه بصره ، وأمرهم أن يحضروا أبيه وأمه.

وعادت القافلة إلي فلسطين ، وأحس يعقوب أنه يشم رائحة يوسف ، فحدث أهله بأن قلبه يحدثه أن يوسف قادم ، فاتهموه بالجنون وجاء أبناؤه ، فالقوا القميص علي وجهه ، فعاد إليه بصره في الحال ، وفرح يعقوب وشكر الله .

ودخل يعقوب وأولاده مصر ، واستقبلهم يوسف أحسن استقبال ، وأجلس أبويه علي العرش ، وسجدوا له جميعاً ، وتحققت رؤيا يوسف وهو طفل .. حين شاهد الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً تسجد له ... وسجد يوسف لله .

وفي قصة يوسف عليه السلام دروس وعبر وعظات بالغات.. أنظر إليه ، وتمعن ما حدث له من صنوف البلايا والمحن ، وألوان الشدائد والنكبات ، وما ناله من ضروب المحن : محنة حسد إخوته وكيدهم له ، ومحنة رميه في الجب ، ومحنة تعلق امرأة العزيز به ، ثم مراودته عن نفسه بشتى طرق الفتنة والإغراء ، وكيف نجاه الله من كيدهم ، ثم محنة السجن بعد ذلك العز ورغد العيش !! انظر إليه كيف أنه لما صبر علي الأذى في سبيل العقيدة ، وصبر علي الضرر والبلاء ، نقله الله من السجن إلي القصر ، وبرأ ساحته وجعله عزيزاً في أرض مصر ، وملكه الله خزائنها ، فكان السيد المطاع ، والعزيز المكرم ، وهكذا يفعل الله بأوليائه ، ومن صبر علي بلائه ، فلابد من الفرج بعد الضيق ، ومن اليسر بعد العسر .

فقصة يوسف عليه السلام تبشر بقرب النصر ، لمن تمسك بالصبر ، وسار علي طريق الأنبياء والمرسلين ، والدعاة المخلصين، فهي سلوى للقلب ، وبلسم للمجروحين .

(٩)

سيدنا أيوب عليه السلام

أبو الصابرين

هذه قصة سيدنا أيوب ، وهو مثال للنبي الصابر الشاكر ، والمحتمل للأذى والصابر صبر الأنبياء ، الذين ابتلاهم الله ، فما جزع ولا أشتكى ، وما قدر الشيطان علي إغرائه مرة واحدة .

فقد كان له من الدواب والأنعام والحرث والخدم شئ كثير ، وكان له أولاد كثيرون ، فابتلى في ذلك كله ، فضاع كله وذهب عن آخره ، ثم ابتلى بعد ذلك في جسده ، فلم يبق منه سليم غير قلبه ولسانه، فقد ابتلى في أعز شئ لديه ، وأي أمر يبتلى به الإنسان أعظم من ضياع ماله! ، وفقد ولده ، وابتلاء في الصحة ، فما كان منه إلا الشكر والصبر والامتثال لأمر الله ، والرضا بما قدره الله له ، فما انحنى أمام المصيبة ، بل وقف شامخاً ، صابراً أجمل صبر .

وابتلاه الله في صحته ابتلاء ، أفقده القدرة ، وطال به المرض حتى لم يبق في قوس الصبر منزع ، ولكنه كان رضي النفس ، ثابت العزم ، قوى الأمل في رحمة الله ، فما ضجر ، بل كان تحت رحمة الله وعند قضائه .

انفرد أيوب عليه السلام في ناحية من البلد ، ولم يبق احد من الناس يحنو عليه ، بل تفرق عنه الأهل والأقارب ، ولم يبق بجواره سوى زوجته رحمة ، فهي من سلالة النبوة من نسل يوسف عليه السلام ، فقامت بخدمته ورعايته وصبرت معه ، فضحت بكل غال وعزيز ، واحتاجت فصارت تخدم الناس من أجله .

طالت مدة بلاءه إلى ثمانية عشر عاماً ، لاقى أيوب فيها من الأهوال والفقر والمرض ، ما لا يحتمله إلا نبي .

فلما طالت مدة بلائه ، ساور زوجته اليأس من شفائه ، وظنت أن للشيطان دخلاً في ذلك ، فقالت لسيدنا أيوب :

إن ما بك مس من الشياطين فارضهم ، وقدم لهم قرباناً ، كي يزول عنك ما بك من مرض ، فغضب أيوب وحلف : لئن عافاه الله ليضربنها مائة ضربة ، فلما برئ من مرضه ، دلته الآيات على علاج ذلك ، بحيث لا يحنث في يمينه ولا يضر زوجته ، لأنها قالت ما قالته في وقت يأس من شدة البأس ، فقال الله تعالى :

" وخذ بيدك ضغثا ، فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب " (١)

فأخذ سيدنا أيوب عليه السلام حزمة من الثياب ، وفيها مائة عود وضربها ضربة واحدة ، فنفذ يمينه ولم يضر زوجته .

فأيوب حين بلغ به الضر مبلغه ، ولم يتمكن الشيطان من قلبه ، نادى ربه وتوجه إليه بقلب النبي ، ودعا ربه قائلاً : " إني مسني الشيطان بنصب وعذاب " (٢) فتقبل منه مولاه ، واستجاب لدعائه وألهمه الدواء ، فهو ليس بعيد عنه ، إنه تحت قدميه وفي متناول يده ، "أركض برجليك ، هذا مغتسل بارد وشراب " (٣).

---

(١) سورة ص : أية ٤٤.

(٢) سورة ص : أية ٤١

(٣) سورة ص أية ٤٢

فركض سيدنا أيوب برجله ، وضرب الأرض فنبع منه الماء ، فاغتسل منه ، فبرأ ظاهره مما به من الأعراض والآلام ، وشرب منه فبرأ من مرض مزمن استمر معه سنين . ورجع معافى في بدنه ، سليما كما كان ، وأوتي ضعف ما كان عنده من مال وأولاد ، وذلك لإخلاصه في الصبر والاحتمال ، وفي قصته دروس وعبر لذوي العقول المستنيرة ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج .

(١٠)

سيدنا موسى عليه السلام

ميلاده ... وقصته مع فرعون الطاغية

مكث يعقوب في مصر، حين جاء يزور يوسف ، وكان لنبي الله يعقوب اسم آخر ، هو إسرائيل ، ولذلك سمي أولاده من بعده ببني إسرائيل .

مات يعقوب ، ومات يوسف عليهما السلام ، وبقي أولادهما في مصر يكثرون ويزيدون ، ومرض الآباء والأبناء والأحفاد ، وجاء أحفاد الأحفاد .

وكان عدد كبير منهم قد نسوا تعاليم سيدنا يعقوب .. فنسى كثير منهم الله ، فلم يعد يعبده إلا قليل منهم ، وسلط الله عليهم ملكاً صارماً يعذبهم كثيراً ، وكان المصريون يعبدونه ويتخذون منه إلهاً .

وفي يوم من الأيام .. رأى فرعون مصر حلماً مرعباً ومخيفاً ، فاستيقظ من نومه مفزوعاً ، وفي الصباح ، جمع الكهنة ومفسري الأحلام ، وقال لهم :

إني رأيت عموداً من النار يصعد من أرض فلسطين ، ويزحف بسرعة كبيرة إلي مصر ، فيحرقني ويحرق بعض البلاد والناس ، فما تفسيركم لهذا الحلم ؟

فكر الكهنة طويلاً ، ثم قال له كبيرهم :

في هذا الحلم خطر علي حياتك يا مولاي ، سيخرج من فلسطين رجل يكون السبب في هلاكك يا مولاي ؟

وكان لفرعون وزير اسمه هامان : فلما سمع فرعون هذا التفسير خاف وارتبك ، وسأل هامان قائلاً :

ما رأيك يا هامان في تفسير هذا الحلم ؟

وكيف نحفظ أنفسنا من الهلاك ؟

فأجاب هامان :

إن سكان فلسطين لا خوف منهم يا مولادي ، لأنهم تابعون لنا ، ولكن الخوف الحقيقي من بني إسرائيل ، الذين يقيمون بيننا ، وخير لنا أن نطردهم إلي بلادهم فلسطين " لنتقي شرهم ، ونحفظ أنفسنا من الهلاك.

فقال فرعون لكبير الكهنة :

وأنت ما رأيك في كلام هامان ؟

فرد عليه قائلا :

إن كتب السحر تقول إن الرجل الذي سيكون علي يده الهلاك لم يولد بعد ، فلا داع لأن نطرد بني إسرائيل ، لأنهم يقومون لنا بجميع الأعمال الشاقة المتعبة .. ويكفي أن نراقب نساؤهم عند الولادة ، لنقتل الأطفال الذكور ، حتى نتقي شر هذا الوليد الذي نخافه ونخشاه .

أعجب فرعون برأي كبير الكهنة وأمر بتنفيذه في الحال ، فصارت القابلات تمر علي بيوت بني إسرائيل ، وتحصى عدد النساء الحوامل ، وتعرف ميعاد الولادة ... وعند الولادة .. تترك البنت ، ويؤخذ الولد ، ليذبح أمام فرعون .

وحملت بوكابد أم موسى ،ولم تظهر عليها علامات الولادة من كبر البطن ، أو ما يشير إلي أنها حامل .

وبعد تسعة اشهر . وضعت بوكابد طفلاً جميلاً ، فرأت الحكيمة التي صاحبتها في الولادة نوراً بين عيني موسى ، فهالها ذلك النور ، فتسترت عليه ، لتحفظه من بطش فرعون .

وعندما خرجت القابلة من منزل أم موسى ، تهافت الجنود عليها وراحوا يسألونها ماذا كانت القابلة تعمل عندها ؟ فأخبرتهم أنها صديقتها ، أتت لزيارتها ، ولما رأتهم خافت علي موسى فألقته في الفرن وفيه نار ، ولم تظهر علي أم موسى علامات الولادة ، فلم يظهر لها لبن .

ولما انصرف الجنود عن أم موسى ، تذكرت وليدها ، ولم تدر في أي مكان وضعته ، ، فسألت عنه أخته ،فسمعت بكاءه في الفرن ، ولم تمسسه النار ، فأتت به ، وظل موسى في رعاية أمه زمناً ، ولما اشتد فرعون في قتل الأطفال ، خافت عليه من القتل فأوحى الله لها :

أرضعي ولدك يا بوكابد ، ولا تخافي ولا تحزني !! فإن خفت عليه فألقيه في النيل ، وسنرده إليك ونجعله رسولاً كريماً .

ولم يكد وحي الله ينتهي ، حتى أطاعت أم موسى أمر الله ،فراحت ترضعه وتلاعبه ، ثم وضعته في تابوت خشبي صغير ، وأقفلته عليه ، وألقته في النيل ، وأصدر الله سبحانه وتعالي أمراً للنيل بأن يحمل موسى بهدوء ورفق ، حتى يسلمه إلي قصر فرعون ، وحملت مياه النيل هذا التابوت العزيز إلي قصر فرعون ، وهناك أسلمه الموج للشاطئ ، وأوصى عليه الشاطئ .

وفي الصباح ، خرجت زوجة فرعون تمشي في حديقة القصر كعادتها كل يوم ...

وكانت زوجة فرعون تختلف عنه كثيراً ، فقد كانت رفيقة ، رحيمة ، رهيفة الحس ، طيبة القلب ، وكانت حزينة أيضاً لأنها لم تنجب ،وكانت تتمنى أن يكون عندها ولد تحبه ، ويملأ عليها القصر فرحاً وسروراً .

وظلت زوجة فرعون تمشي حتى وصلت إلي التابوت علي الشاطئ ثم قالت لنفسها :

ماذا يا ترى في هذا التابوت ؟

أمرت زوجة فرعون جاريتها أن يحضرن التابوت ـ فحملنه إليها، وفتحته فوجدت فيه طفلاً جميلاً ، ولما مدت إليه زوجة فرعون يدها ، لتخرجه من التابوت ، ابتسم لها فأحست أن حبه يملأ قلبها .

جاء فرعون علي مائدة الإفطار ، ينتظر زوجته ، فخرج غاضباً يبحث عنها ، ففوجئ بها تحمل موسى ، وتغرقه بالدموع والقبلات .

سأل فرعون : من أين جاء هذا الطفل الرضيع ، فحدثوه إنهم وجدوه بتابوت بجوار الشاطئ ، فقال فرعون بغباء : آه هذا أحد أطفال بني إسرائيل .. إنه الشر الذي نخافه ونخشاه !!

إن هذا الطفل سوف يهلكني ويزيل عني عرشي .. أيها الجنود خذوا هذا الطفل واذبحوه بغير شفقة .

صرخت زوجة فرعون ، وهي تضم موسى إلي صدرها ، وقالت مستعطفة فرعون :

مولاي الملك !! أنا لا ولد لي ، وهذا الرضيع أرسلته إلي الآلهة من السماء فلا تحرمني من نعمة الولد ، عسى أن ينفعنا إذا كبر وسنربيه معنا ، ونعامله كأنه ابن لنا ، وستصبح أباه ، فليس من المعقول أن يؤذي الولد أباه .

سالت دموع زوجة فرعون علي خديها ، فدهش فرعون وهو يراها تبكي ، وأحس فرعون أن زوجته تتمسك بهذا الطفل كما لو كان ابنها ، وقال في نفسه لعلها تذكرت أنها لا تنجب أطفالاً وتريد هذا الطفل ....

وأخيرا .. استجاب فرعون لطلب زوجته ، ووافق أن تربي الطفل في قصره .

وسمت آسية زوجة فرعون الطفل موسى ، بكى موسى من الجوع، فقالت آسية لفرعون :

ابني الصغير جائع .

فأمر فرعون بإحضار المراضع له ، حضرت المراضع ، ولكنه رفض الرضاعة منهن ، فلم يقبل علي ثدي أي واحدة منهن ، وكان في كل مرة يقفل فمه ، ويدير وجهه عن المرضع .

فخافت آسية أن يهلك موسى من الجوع ، فأعلنت أنها ستقدم جائزة لمن يحضر مرضعاً يألفها موسى ، ويقبل علي ثديها .

وكثرت المراضع أمام قصر فرعون ، وأندست أخت موسى بينهم، ووقفت تنظر إلي موسى وهو يعرض عن كل مرضع ، ففرحت في نفسها وتقدمت إلي آسية وقالت :

أنا يا سيدتي أعرف مرضعة مستقيمة صالحة ، ترعى الأطفال بحنان وعطف ، ولها ابن فطمته من الرضاعة ، وهي في حاجة إلي من ترضعه ، فيدر عليها رزقاً ، وهي خير من تحفظه لكم ، ولعله يقبل علي ثديها .

أسرعت أخت موسى إلي أمها ، وأحضرتها إلي قصر فرعون .. فأرضعته ، فأقبل علي ثديها بشوق ولذة .

طلبت زوجة فرعون من أم موسى أن تقيم في قصر الملك ، حاضنة تربي موسى ، فرفضت ذلك ، وقالت لها :

إن لي زوجاً وأولاداً ، وأن أحببتم أن أرضعه في بيتي فعلت ، فأجابتها إلي ما طلبت ، وأجزلت لها العطاء الوفير .

حملت أم موسى طفلها علي صدرها ، وعادت به إلي بيتها ترضعه وتربيه ، فقضى زمن طفولته عندها .

وفطم موسى ، وعاد إلي بيت فرعون ، وأخذ يكبر ، وينمو ويتعلم، ويتربى كما يتعلم أبناء الملوك ويتربون . فتعلم علوم الفراعنة

النافعة، من : حساب ، وهندسة ، وفلك ، وكيمياء ، ولكنه لم يعبد الآلهة التي يعبدونها .

وكان موسى عليه السلام يعلم أنه ليس ابنا لفرعون ، انما هو واحد من بني إسرائيل وكان يرى كيف يضطهد رجال فرعون وأتباعه بني إسرائيل .. وخرج موسى ذات يوم يتمشى في المدينة ، علي حين غفلة من أهلها وسار ، فوجد رجلاً من الفراعنة يسحب رجلاً من بني إسرائيل ، ليرغمه علي خدمته في الحقل فلما رأى الإسرائيلي موسى ، صاح :

أنقذني يا موسى إنه يظلمني ، ويريدني أن اعمل في حقله دون أجر ...

غلى دم موسى ، فأسرع إلي الفرعوني وضربه بيده ضربة شديدة، فسقط الفرعوني علي الأرض ميتاً ، ولم يكن سيدنا موسى يقصد قتله .

ندم سيدنا موسى ندماً شديداً ، لأنه قتل الفرعوني ، وقال في نفسه:

هدا من عمل الشيطان .. إنه عدو مبين .

ودعا موسى ربه ، وقال :

ربي إني ظلمت نفسي .. فأغفر لي .

وفر الإسرائيلي ، وسار موسى في طريقه والندم يملأ نفسه ، ووجد جنود فرعون جثة القتيل ، وراحوا يبحثون عن القاتل في كل مكان ولكنهم لم يجدوه .

وبعد أيام .. كان موسى يسير في المدينة ، فرأى فرعونيا آخر يشد ذلك الإسرائيلي من يده ، ويضربه ليجبره علي العمل معه دون أجر ، فاستغاث به الإسرائيلي فغضب موسى ، وصاح في وجهه:

إنك رجل جاهل شرير !! فإني وقعت بالأمس فيما وقعت فيه بسببك ، وتريد أن توقعني اليوم في ورطة أخرى ؟

ومع ذلك .. ورفع يده ليهجم علي الفرعوني ، ليخلصه منه ، فحسب الإسرائيلي أن موسى يريد أن يضربه هو ، فصاح :

ما هذا يا موسى ؟ أتريد أن تقتلني كما قتلت الفرعوني بالأمس ؟

فلما سمع الفرعوني كلام الإسرائيلي ، تركه وأسرع إلي قصر فرعون ، ليبلغه بأن موسى هو الذي قتل الفرعوني بالأمس .

جمع فرعون رجاله ، وأخذوا يتشاورون فيما يصنعون بموسى ، واتفقوا في النهاية علي قتله .. فأمر فرعون بالقبض عليه .

وكان بين الحاضرين رجل يحب موسى ويعطف عليه ، فأسرع إليه ، ليبلغه بأن فرعون كشف جريمته ويريد أن يقتله .. فنصحه بالخروج من مصر ، قبل أن يقتله فرعون .

خرج موسى من المدينة متخفياً ، وقصد الصحراء الشرقية ، وهو لا يحمل طعاماً ولا شراباً ، فكان يأكل مما يجده في طريقه ، من ثمار الاشجار وأوراقها .

وظل موسى يمشى حتى وصل إلي بلاد مدين ، فجلس يرتاح عند بئر كبيرة ، كان الناس يسقون منها غنمهم ، وأخذ الناس يتزاحمون علي البئر ، فرأي موسى فتاتين واقفتين تصدان ماشيتهما عن الشراب، وتحاول الماشية أن تصل إلي المساعدة ، نسى موسى عطشه ، وتقدم منهما وسألهما : هل يحتاجان إلي المساعدة .. قالت الفتاة الكبرى له :

نحن ننتظر حتى ينتهي الرعاة من سقي غنمهم ، لنسقي غنمنا .

فسألهم موسى : ولماذا لا تسقيان غنمكما ؟

فقالت له الصغرى :

هؤلاء رجال أقوياء ونحن بنتين ضعيفتين ، ولا نستطيع أن نقترب من البئر ، إلا إذا تركتها الرعاة .

اندهش موسى ، لأنهما ترعيان الغنم ، فالغنم ترعاه الرجال ، لأنها مهمة شاقة ومتعبة .

قالت الأخت الصغرى لموسى : إن أبانا شيخ كبير ، وصحته لا تساعده علي رعي الغنم ، والخروج بها كل يوم .

سار موسى نحو الماء .. واكتشف أن الرعاة قد وضعوا علي فم البئر صخرة كبيرة ، لا يستطيع أن يحركها غير عشرة رجال .....

وكان موسى قوياً فأزاح الصخرة بنفسه وسقى لهم الغنم ، وأعاد الصخرة إلي مكانها ، وتذكر موسى أنه نسى أن يشرب ، فشرب حتى ارتوى ....

ثم جلس ، ليستريح تحت ظل شجرة ، وقد استبد به الجوع ، فلجأ إلي الله يسأله الفضل والإحسان ، وناداه في قلبه :

اللهم أرزقني ، فإني فقير إلي رحمتك وخيرك !!

ولما عادت الفتاتان إلي أبيهما ، سألهما الأب :

لماذا عدتما اليوم سريعاً علي غير العادة .

فأخبراه بما حدث معهما، وراحتا تقصان عليه ما فعله معهما موسى .

وشعر أبو الفتاتين بأن الواجب يقضي عليه أن يدعو هذا الشاب إلي منزلة ، ويقبله ضيفاً عنده ، فأرسل إليه ابنته لتدعوه لمقابلته وأخذ أجره منه .

رفض موسى أن يأخذ أجراً علي سقايته لغنم الشيخ وقال للفتاة إنه ساعدهما لوجه الله ، ولا يريد منهما أجراً . وقبل موسى دعوة الشيخ لتناول الطعام فقط ، لأنه كان جائعاً جداً وسار موسى أمام الفتاة حتى لا ينظر إليها ، وسارت هي خلفه ، ولما وصل موسى إلي البيت ، استقبله الشيخ أحسن استقبال .. وقدم له طعام الغذاء.. وبعد ذلك سأله الشيخ : من أين هو قادم ؟؟ .. والي أين هو ذاهب ، فحدثه موسى عن قصته كاملة .

فقال له الشيخ أبو الفتاتين :

لا تخف يا موسى .. فقد وصلت إلي مكان أمين ، فهذه البلاد لا تتبع مصر ، فقد نجوت يا موسى من القوم الظالمين ، فأطمأن موسى ونهض لينصرف .

قالت ابنة الشيخ الصغيرة لأبيها همساً :

يا أبت استأجره ..إن خير من استأجرت القوى الأمين .

سألها الأب : كيف عرفت أنه قوي وأمين ؟

قالت الفتاة : رفع صخرة لا يقدر علي رفعها غير عشرة رجال ، ورفض أن يسير خلفي وسار أمامي حتى لا ينظر إلي وأنا أمشى ، وكنت عندما أكلمه يضع عينيه في الأرض أدباً وحياءً .

وعاد الشيخ لموسى ، وقال له :

أريدك يا موسى أن تعمل في رعي الغنم عندي ، ثماني سنوات ، فإذا أتممت عشر سنوات ، فمن كرمك ، ولا اريد أن أتعبك ستجدني إن شاء الله من الصالحين .

قال موسى :

هذا اتفاق بيني وبينك .. والله شاهد علي اتفاقنا .. سواء قضيت السنوات الثماني أو العشر ، فأنا حر بعدها في الذهاب .

تزوج موسى من ابنة الشيخ الصغرى ، وأقام معه يرعى له غنمه ويخدمه حتى انتهت المدة ، فأحس في نفسه بشوقه إلي مصر ، فأخذ زوجته واستأذن أباها في العودة إلي مصر .

رجع موسى بزوجته من الطريق الذي مشى فيه ، وهو هارب من فرعون ، وكان البرد شديداً والظلام دامساً وتاه موسى أثناء سيره ، فالتقط قطعتين من الصخر وراح يضرب أحدهما بالأخرى ليشعل ناراً يرى في ضوئها : أين يسير ، ولكنه لم يستطع ، فقد كانت الرياح القوية

تطفئ الشرارة الضعيفة ، ووقف موسى حائراً يرتعش من البرد وسط أهله .. ثم رفع رأسه : فشاهد ناراً علي بعد ، فامتلأ قلبه بالفرح والسرور ، وقال لأهله : إني رأيت ناراً هناك . وأمر أهله بالجلوس مكانهما حتى يذهب إلي النار ، لعله يأتيهما منها بخير .

سار موسى مسرعاً إلي مكان النار ، يده اليمنى تمسك بالعصى وظل يسير حتى وصل إلي واد يسمونه طوى ، لم يكن به برد ولا رياح، نظر موسى في النار وعاد يرتعش ، وجد شجرة خضراء من الشوك، وكلما زاد اشتعال النار زادت خضرة الشجرة ، ولم يحترق منها شئ ، راح موسى يرتعش رغم الدفء والعرق ، فوضع يده علي عينه من شدة النور ، خوفاً علي بصره .

وتساءل في نفسه :

أهذه نار أم نور ؟

ثم ارتجت الأرض بالخشوع والرهبة والله سبحانه وتعالي ينادي:

يا موسى ....

رفع موسى رأسه ، وقال :

نعم ....

قال الله عز وجل : إني أنا ربك .

ازداد ارتعاش موسى ، وقال :

نعم يا رب

قال الله عز وجل : أنا ربك يا موسى فاخلع نعليك ، لأنك بالوادي المقدس طوى ، الذي باركته ، وباركت كل من حوله .

فلما خلع نعله .. سمع الرحمن الرحيم يقول له :

ماذا تمسك في يدك اليمنى يا موسى ؟

فأجاب موسى : أمسك عصا أتوكأ عليها ، وأضرب بها الشجر ، فتسقط أوراقها علي غنمي ، فتأكله .

وأدافع بها عن نفسي وعن غنمي من الحيوانات المفترسة ، واستخدمها في منافع أخرى كثيرة .

قال الله عز وجل :

ألقها يا موسى من يدك .

فلما ألقاها موسى .. تحولت إلي ثعبان كبير ضخم ، وراح الثعبان يحرك رأسه فخاف موسى وفزع ، وفر هارباً ، ولكنه سمع نداء ربه :

لا تخف يا موسى ولا تهرب ، فقد اخترتك لتكون رسولاً ... وهذه العصا هي المعجزة التي تجعل الناس يصدقونك في رسالتك .

ثم ناداه الله عز وجل وقال له :

أدخل يدك في جيبك .....

فلما وضع موسى يده في جيبه وأخرجها ، فإذا هي بيضاء مشرقة... يشع منها النور ويتلألأ ، كأنها قطعة في ضوء الشمس ، ولما أعادها إلي جيبه ، رجعت سمراء كما كانت .

ثم سمع نداء ربه :

هذان برهانان علي صدقك وصدق رسالتك ، تقدمهما إلي فرعون وقومه .. فأذهب إليه ، واطلب منه أن يترك عبادة الاصنام ، ويؤمن بالله وحده ، ويعطيك بني إسرائيل لتخرجهم من مصر ، التي لاقوا فيها الظلم والعذاب .

فقال موسى : يا رب إني قتلت منهم نفساً ، وأخاف إن ذهبت أن يقتلوني ولساني غير فصيح ، ولا استطيع أن أحسن الكلام معهم ، فاشرح صدري وأصلح لساني ، وأرسل معي أخي هارون يعينني ويساعدني .

فأجاب ربه :

سنشد عضدك بأخيك ، ونجعله معيناً لك ، وألهم الله هارون أن يخرج لمقابلة موسى في الطور ، وسار هارون حتى قابل أخاه موسى ، فقال الله لهما :

اذهبا إلي فرعون الظالم الجبار ، وادعواه إلي عبادة الله الواحد الأحد ، وترك عبادة الاصنام ، وخاطباه برفق ولين ، لعله يتوب ويعود إلي رشده ، فيسمع لكما ، ويجيب دعوتكما .

ذهب موسى إلي فرعون مصر وبني إسرائيل ، ومعه أخوه هارون ، وعندما وصلا إلي بيت فرعون ... قرع سيدنا موسى الباب بعصاه، وعندما سمع فرعون نقر عصا موسى ملأه الغضب ، وقال : من الذي يجرؤ علي بيتي في مثل هذا الوقت ؟ وينقر الباب ولا يستأذن من الحراس ؟ فقال له الحراس : رجل بالباب يقول : إنه رسول رب العالمين إلي فرعون وقومه ، إنهم كانوا قوماً فاسقين ، فأمر فرعون الحراس بإدخاله ، فدخل موسى هو وأخوه هارون .

فقال لهما فرعون : من أنتما ؟

فقالا له : إنا رسولا رب العالمين فقال لهم فرعون : فمن ربكما يا موسى ؟

فرد عليه موسى قائلا : رب السموات والأرض وما بينهما .. فهو خالق جميع المخلوقات ، وأنت من هذه المخلوقات ، فهو خالق السموات وما فيها من شمس ، وقمر ، ونجوم ، وكواكب ساطعة ، وخالق الأرض وما عليها من بحار ، وجبال ، وأشجار ، وحيوانات ونباتات ، والله خالق ما بين السموات والأرض من هواء ، وطيور ، والجميع له عبيد خاضعون ، هذا هو رب العالمين ، الذي تسأل عنه أنت ومن معك .

عندما سمع فرعون هذا الكلام .. سخر من موسى وأخيه هارون ، فقال له موسى :

لو جئتك بدليل قاطع علي إني رسول الله ، هل تصدقني وتؤمن بالله رباً ؟ فقال له فرعون في دهشة واستغراب ، وما دليلك ؟

ألقى موسى عصاه ، فتحولت – بقدرة الله – إلي حيه عظيمة فاغرة فاها ، واسرعت ناحية فرعون ، فأصابه الذعر والفزع ، وسقط من علي سريره ، وطلب من موسى عليه السلام أن يبعدها عنه، ففعل ، وعادت الحية عصا كما كانت .

بعد ذلك .. وضع سيدنا موسى يده في جيبه ، وعندما أخرجها ، صار لونها أبيض ، ثم وضعها مرة أخرى ، ولما أخرجها عادت إلي لونها الطبيعي .

دهش فرعون ، وتلفت إلي الجالسين حوله من عظماء مملكته ، فقالوا له : إن هذا الرجل لساحر ، ونرى أن تجمع أمهر السحرة في البلاد ، ليبطلوا حجته ، ويظهروا عجزه ، ونحن واثقون من تفوقهم عليه .

قال فرعون لموسى : حدد لنا موعداً ، نجمع فيه السحرة ، لنرى من منكم سيغلب الآخر بسحره ؟ فحدد سيدنا موسى يوم العيد موعد الاجتماع .

أرسل فرعون في طلب السحرة من جميع ديار مصر ، فأتوا مسرعين مهرولين ، لأن هذا هو عيدهم ، ومحفلهم الذي يظهرون فيه مهارتهم في صنعتهم .

ودعا فرعون مع السحرة الملأ من الناس ، ليروا الساحر الجديد، الذي جاء يتحدى السحرة بألاعيبه ، وكان موسى وأخاه هارون في الميدان مع السحرة ، فتقابل معهم ودعاهم إلي الإيمان بالله إن غلبت معجزته سحرهم ، فعاهدهم علي الإيمان بالله ، وعاهدوه علي ذلك .

قال السحرة لموسى : إما أن تبدأ وإما أن نبدأ نحن ، فقال لهم موسى : أبدأوا أنتم ، فألقى السحرة حبالهم وعصيهم علي الأرض ، فخيل للناس من سحرهم أنها ثعابين وحيات تتحرك ، وارتفعت أصواتهم بالفرح والسعادة ، وظنوا أن موسى سيهزم أمامهم .

استعان سيدنا موسى بالله ، وألقى بالعصا فكانت المعجزة ، وتحولت العصا بقدرة الله إلي ثعبان ضخم ، أخذ يبتلع كل حبالهم وعصيهم ، التي خيل للناس أنها حيات تتحرك .

وفر الناس جميعا من أمام هذا الثعبان الضخم خوفاً منه ، ولم يبق في الميدان سوى سيدنا موسى والسحرة .

عندئذ أدرك السحرة أن ما فعله موسى لا يمكن أن يكون سحراً مثل سحرهم الذي نبغوا فيه ، وإنما هي معجزة من عند الله ، وان هذه المعجزة لا يستطيع أي إنسان أن يفعلها ، فهي بقدرة من الله عز وجل.

وعلي الفور ... آمن السحرة بالله وبموسى رسولاً ، ولم يهتموا بتهديد فرعون لهم ، ولا بوعيده ولا بجبروته وآمنت معهم آسية زوجة فرعون كذلك ، ولم تهتم بتهديد فرعون لها وتعذيبه إياها ، وربط الله علي قلبها فكانت من المؤمنات الصابرات ... فمن الله عليها بالرضوان وأسكنها قصرا في أعلى غرف الجنات .

وسار موسى بقومه بني إسرائيل ليلاً إلي فلسطين ، فلما علم بهم فرعون تبعهم بجيشه ليردهم .. فلما وصل موسى وقومه المؤمنين إلي البحر ضربه موسى بعصاه فأنفلق وأنشق ، وصار به أثنى عشر طريقاً يابساً ووقف الماء بينهما كالجبل الشامخ الثابت وأجتاز موسى وقومه من تلك الطرق المفتحة لهم في البحر ، فلما أدركهم فرعون وجنوده أمر الله البحر أن يعود كما كان ، فغرق فيه فرعون ومن معه وتلك نهاية الظالمين والطغاة في كل زمان ومكان .

(١١)

سيدنا داود عليه السلام

مرت سنوات عديدة علي وفاة سيدنا موسى ، وأقام بنو إسرائيل في فلسطين ، وكان معهم التابوت ، وهو صندوق فيه بقية الألواح التي أنزلها الله علي سيدنا موسى .

ودارت بينهم وبين الكنعانيين الذين كانوا يسكنون مصر ، حروب كثيرة ، وكانوا – في كل حرب – منها يحملون هذا التابوت ، ويضعونه في مقدمة الجيش ، فينتصرون علي أعدائهم بفضل بركة هذا التابوت .

ولكنهم بعد زمن نسوا فضل الله عليهم ، فكفروا بنعمة الله .. وصاروا يظلمون ويسرقون ويأكلون الربا .. وكانوا يقومون بجمع المال ، بكل الوسائل .. ولا يهمهم أن تكون حلالاً أو حراماً .

فغضب الله عليهم غضباً شديداً ، وسلط عليهم ملكاً ظالماً جباراً من ملوك الكنعانيين ، واسمه جالوت ، فحاربهم وانتصر عليهم واخذ منهم هذا التابوت المقدس ، وشردهم في البلاد ، فصاروا لا وطن لهم .

وكان فيهم نبي اسمه صمويل ، فذهبوا إليه وقالوا له :

ألا ترى يا صمويل كيف غلبنا جالوت ، وأخرجنا من بلادنا ، وسلب أموالنا ؟ فقال لهم :

إنكم أغضبتم الله الذي أحسن اليكم ، والي آبائكم ، وأجدادكم ، فأنتم تستحقون عقاب الله ، ولهذا سلط الله عليكم جالوت .

فقالوا له :

إنا نعدك بأن نعبد الله ونتوب إليه ، ونستغفره ، فتخير لنا ملكاً من بيننا ، لنحارب جالوت ونسترد بلادنا والتابوت المقدس .

سمع صمويل منهم هذا الكلام ، فشك في صدقهم ، وقال لهم :

ما أظنكم تقدرون علي قتال جالوت !!

فأجابوه جميعاً :

ولماذا لا نقاتله ، وقد طردنا من ديارنا ، وشرد أبناءنا وساء حالنا، فصرنا بلا وطن ولا مال .

دعا صمويل ربه أن يختار لهم ملكاً ، فجاء الوحي من السماء يقول له :

سيكون طالوت ملكاً علي بني إسرائيل ، وستعرفه حينما تقع عينك عليه ، وسيرجع لهم تابوتهم المقدس .

وبينما كان صمويل يتعبد في بيته ، دخل عليه طالوت يطلب منه حاجة ، فلما رآه أحس بقلبه أنه هو ملك بني إسرائيل المنتظر ، فقضى له حاجته وقال له :

لقد اختارك الله ، لتكون ملكاً علي بني إسرائيل ، وتقاتل جالوت ، وتنتصر عليه .

فلما سمع طالوت هذا الكلام .. اندهش وقال له :

أنا يا سيدي النبي ، سأكون ملكاً علي بني إسرائيل !!! إنني رجل فقير ، وبنو إسرائيل يحبون المال ، ولا يحترمون إلا صاحبه ، وكان طالوت من أولاد بنيامين بن يعقوب ، الذين كانوا يعملون في أحط الأعمال التي يشتغل بها بنو إسرائيل .

وكان طالوت كثير العلم والمعرفة ، قوى الجسم .

فرح طالوت فرحاً شديداً ، وخرج صمويل إلي بني إسرائيل ، وقال لهم :

إن الله أختار لكم طالوت ملكاً عليكم .

فلما سمعوا ذلك اندهشوا ، وصاحوا : طالوت !! الدباغ يكون ملكاً علينا ، كيف يكون ملكنا رجلاً حقيراً وفقيراً !! ونحن الأغنياء!.

فرد عليهم صمويل قائلا :

وما فائدة المال في القتال ؟

هل نفعتكم أموالكم في حرب جالوت ؟

إن الحرب تحتاج إلي الجسم القوي ، والدهاء ، وطالوت أعطاه الله الجسم القوي ، والعقل الذكي .... فلا تخالفون أمر الله .

وبعد مناقشة طويلة بينهم وبينه ... قالوا لصمويل :

وما الدليل علي أن الله اختار طالوت ملكاً علينا ؟؟

فقال لهم صمويل :

الدليل علي ذلك ، عندما تخرجون من المدينة .. ستجدون التابوت المقدس نازلاً من السماء ، وتحمله الملائكة .

فخرجوا فوجدوا التابوت كما وصفه لهم صمويل ، فرضوا بطالوت ملكاً عليهم .

وبدأ طالوت في تكوين جيش ليحارب به جالوت ... وكان جالوت مبارزاً جباراً ، لا يقوى علي هزيمته أحداً ، ويخاف منه أشجع الجنود.

تم تجهيز جيش طالوت ، وسار الجيش طويلاً وسط الصحراء والجبال حتى أحس الجنود بالعطش والظمأ الشديدين .

فقال الملك طالوت لجنوده :

سنصادف نهراً في الطريق فمن شرب منه حتى أرتوي فليخرج من الجيش ، ومن غرف منه غرفة صغيرة ، تطفئ حر عطشه فليبق معي في الجيش .

وسار طالوت بجنوده ، وكان الحر شديداً والطريق شاقاً صعباً ، حتى وصلوا إلي النهر بعد تعب وجهاد ، فشرب معظم الجنود ، وخرجوا من الجيش ، فعرف طالوت أنهم لا يصلحون للقتال ، فأبعدهم عن جيشه .

وصبر مع طالوت عدد قليل من الجنود الذين لم يشربوا من النهر، فأخذهم طالوت وعبر بهم النهر إلي بلاد جالوت .

وجاءت اللحظة الحاسمة ، ووقف جيش طالوت ، أمام جيش جالوت قليلا ، وكان جيش جالوت كبيراً وقوياً ...

فقال بعض الضعفاء من جيش طالوت :

كيف نهزم هذا الجيش القوي ؟

قال المؤمنون من جيش طالوت :

المهم هو الإيمان والشجاعة ...

وبرز جالوت ومعه سيفه وفأسه وخنجره ، وقال :

لا داعي يا طالوت لحرب الجيشين ، ولكن أخرج لمبارزتي أو أخرج جنديا من جنودك ، ومن ينتصر منا علي خصمه ، يكسب الحرب ، ويكون له النصر .

فرضي طالوت بهذا الشرط ، وقال : من يخرج لمبارزة جالوت ويقتله يكون زوجاً لابنتي : ويكون قائداً علي الجيش فخاف منه جنود طالوت جميعاً .... وهنا برز من جيش طالوت راعي غنم صغير ، اسمه داود .... كان داود مؤمناً بالله ، وكان يعلم أن الإيمان بالله هو القوة الحقه في الكون ، وان العبرة ليست بكثرة السلاح ، أو ضخامة الجسم .

وتقدم داود يطلب من الملك طالوت إذنه لمبارزة جالوت ـ فسمح الملك لداود أن يبارز جالوت ..... وتقدم بعصاه وخمسة أحجار ومقلاعه ، وتقدم جالوت المدجج بالسلاح والدروع ... وسخر جالوت

من داود وأهانه ، فوضع داود حجراً قوياً في مقلاعه ، وطوح به في الهواء ، وأطلق الحجر .

كانت الرياح صديقة لداود فحملت الحجر نحو جبهة جالوت فقتله الحجر ، وسقط جالوت علي الأرض .... وتقدم منه داود فأخذ سيفه وأعلن هزيمة جالوت .

ولكن طالوت أراد أن يغدر بداود ، ويرجع في اتفاقه ، ولا يزوجه أبنته لأنه صغير .

فغضب داود ، وغضب معه بنو إسرائيل ، فاضطر طالوت أن ينفذ الاتفاق ويزوجه أبنته .

ومات صمويل النبي ، فاختار الله داود رسولاً إلي بني إسرائيل ، وأنزل عليه الزبور ، وهو كتاب مقدس كالتوراة ، وأنعم عليه بصوت جميل جداً ، فكان إذا قرأ في كتابه وتغنى به ، غنت معه الطيور ، وجعل الله تعالى الحديد ليناً في يده ، فصار يصنع الدروع والأسلحة ، وكل شئ يحتاج إليه .

وذات يوم .. كان سيدنا داود يسبح الله وسط الجبال ، فأكتشف أن الجبال تسبح معه .. ولم تكن الجبال وحدها هي التي تسبح ، وإنما كانت الطيور تشترك أيضا في التسبيح ، وأعطاه الله سبحانه وتعالي قدرة علي فهم لغة الطيور ، يعطف عليها ، ويطعمها ويداويها إذا مرضت ، وكانت الطيور والحيوانات تحبه وتقصده لحل مشاكلها ، وفض منازعاتها ، ومع لغة الطيور علم الله سبحانه وتعالى لداود الحكمة ..

وظل سيدنا داود ينصح بني إسرائيل ، ويبين لهم الحلال والحرام، ورزقه الله سبحانه وتعالي ولداً جميلاً فسماه سليمان .

وفي ذات مرة دخل علي داود جماعة من الفلاحين ، وشكوا إليه جيرانهم وقالوا :

إن جيراننا تركوا غنمهم في زرعنا ، فأكلته وأفسدته .

فأحضر داود الجيران ، وسألهم عما فعلته الغنم بأرض الفلاحين ، فاعترفوا بذنبهم .

فقدر داود ما تلف من الزرع ، فوجده يساوي ثمن الغنم ، فقال لاصحاب الغنم :

اعطوا الفلاحين غنمكم ، تعويضاً لهم عن زرعهم الذي تلف .

وكان سليمان حاضراً يسمع حكم أبيه ، فعرف أن اصحاب الغنم مظلومين بهذا الحكم ، لأن أغنامهم ستضيع منهم ولا يبقى معهم شئ ، فاستأذن أباه ، وقال : هل تسمح لي يا أبي أن ابدي رأيي في هذه المسألة، فأدخله أبوه ، فقال :

يأخذ الفلاحون الغنم ، يستفيدون من لبنها وصوفها ، ويأكلون منه ويزرع أصحاب الغنم ارض الفلاحين ، حتى تصير كما كانت عليه ، قبل أن يفسدها الغنم ، ثم يرد الفلاحون الغنم إلي اصحابها ، ويأخذون زرعهم .

فرح داود بهذا الحكم العادل ، وقال لسليمان :

هذا حكم عظيم يا سليمان ، الحمد لله الذي وهبك الحكمة .. أنت سليمان الحكيم حقاً .

وجاء جبريل يخبر داود بأن الله رضي عن سليمان ، ويطلب منه أن يجعله خليفة من بعده في بني إسرائيل ، فخرج داود علي بني إسرائيل ، وقال لهم :

ابني سليمان نبي لكم من بعدي .

ولم يطل عمر داود بعد ذلك ، فمات وصار سليمان نبياً ورسولاً في بني إسرائيل .

(١٢)

سيدنا سليمان عليه السلام والهدهد

والملكة بلقيس

وهب الله سبحانه وتعالي لسيدنا سليمان الملك العظيم ، وعلمه كثيراً مما جهله الناس ، فقال تعالى: "ولقد آتينا داود وسليمان علماً"[١].

وسخر الله له الريح ، تجري بأمره ، وتحمله من مكان إلي مكان في أقرب وقت وأسرع زمان ، فقال تعالي " ولسليمان الريح تجري بأمره إلي الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شئ عالمين " [٢].

وسخر الله سبحانه وتعالي له الأقوياء العتاة والجن والإنس والشياطين والطير ، وكان سليمان عليه الصلاة والسلام يعرف لغة الحيوانات والطيور والحشرات ، فقال تعالي : " حتى إذا أتوا علي واد النمل ، قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ليحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون " [٣] .

وذات مرة جمع سليمان جنوده من الجن والأنس والطير وركب فيهم في أبهة وعظمة كبيرة في الإنس ، وكانوا هم الذين يلونه ، ثم الجن وهم بعدهم في المنزلة والطيور وفراشتها فوق رأسه ، فإن كان حراً أظلته بأجنحتها ، وهو فيهم قائد خبير بلغتهم وعليم بأحوالهم ، يأمرهم فيطيعون .

---

(١) سورة النمل : آية ١٥.

(٢) سورة الأنبياء : آية ٨١.

(٣) سورة النمل : آية ١٨.

وذات مرة .. مر سليمان بجنوده بوادي النمل ، فخافت نملة علي قبيلتها من أن تحطمها الخيول بحوافيرها ، ولا يشعر بذلك سليمان ولا جنوده ، فأمرتهم بالدخول إلي مساكنهم ، ولأن سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام ، كان يعرف لغة النمل ، ضحك من قول النملة ، وأدرك ما كانت تريده .

وطلب الدعاء والعون والهداية والتوفيق من ربه ، وشكره علي نعمته عليه وتعليمه له منطق الطير والحيوان ، وأن يدخله برحمته في عبادة الصالحين إذا توفاه ، فيكون مع الرفيق الأعلى من أوليائه وأحبائه .

وذات يوم تفقد سليمان الطير فلم يجد الهدهد ، وكان الهدهد خبيره وعينه ، يدله علي مواقع الماء ومنازل الجيش ، فكان إذا أراد سيدنا سليمان السفر ... أرسله ليعرف مواقع الماء فيعرفها ويخبره بها ، فيأمر سيدنا سليمان الجن بحفر الآبار حتى يخرج منها الماء .

فنزل سيدنا سليمان بموقع من الأرض ، فلم يجد الهدهد فسأل عنه، فغاب زماناً يسيراً ثم جاء ، فقال لسليمان : لقد أطلعت علي ما لم تطلع عليه أنت وجنودك ، وجئتك بخبر يقين عن سبأ وملكتهم بلقيس بنت شراحبيل فإنها صابئة وتسجد للشمس من دون الله هي وقومها ، وأنهم أصحاب جهالة وسفاهة .

وشق علي نبي الله أن يكون بجوار مملكته ملك ، وأمة لا يعرفها ولم تبلغها دعوته ، ولا تزال تعبد الشمس هي وقومها من دون الله ، ورأى من الصواب أن يكتب إلي تلك الملكة المشركة ، ويدعوها وقومها إلي الإسلام والطاعة والاستسلام ، قبل أن يزحف علي بلادها بجنوده القاهرة ، فكتب إليها كتابا ، يدعوها فيه إلي الإسلام والطاعة والاستسلام ، وأرسله مع الهدهد ، فسار به الهدهد حتى ألقاه علي قصرها ، فأخذته وقرأته ، وكانت هذه الملكة عاقلة وحكيمة غير متسرعة في الحكم علي الأمور ، فأطلعت أهل الرأي والحكمة من دولتها علي هذا الكتاب الذي لم يكن كأي كتاب إنه من أعظم ملوك زمانها ، ومن نبي يدعو إلي الإسلام

أشار عليها أهل الرأي والحكمة بحرب هذا الملك ، وأنهم قادرون علي ذلك بما لديهم من جيوش قوية ، فلم تقبل رأيهم ، بل حذرتهم من سوء العاقبة ، وذكرتهم بسيرة الملوك الفاتحين في الأمم المفتوحة ، ومصيرها بعد الهزيمة والانكسار ، وقالت : سيكون هذا شأن بلادنا ، وستلحق بنا الهزيمة ، وسوف أرسل إليه هدية لائقة به كملك ، فإن قبل الهدية ... فهو ملك فقاتلوه ، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه ، وادخلوا معه في دينه .

بعثت الملكة بلقيس الهدية إلي سيدنا سليمان ، فلما وصلت إليه .. أعرض عنها وزهد فيها ، وقال : أتمدونني بمال لأترككم علي شرككم وملككم وقد أعطاني الله من الملك والمال والجنود خير مما أنتم فيه ، فلما رجع رسل بلقيس إليها بهديتها ، وقصوا عليها القصة ، سمعت وأطاعت هي وقومها ، وأقبلت تسير إليه في جنودها ، خاضعة ذليلة معظمة لسليمان ، تابعة له في الإسلام ، قائلة : ما هذا بملك ، وما لنا به طاقة .

وبعثت إليه : إني قادمة اليك بملوك قومي ، فلما سمع ذلك سليمان فرح بقدومها ، وحمد الله وأراد أن يريها آية من آيات الله ، ليكون ذلك أدل علي قدرة الله ونعمه علي سليمان ، فأمر ملأه من الجن والإنس أن يأتوا بعرشها قبل وصولها هي وقومها ، وقد تحقق ما أراد سليمان في أقرب وقت وكان معجزة .

أمر سيدنا سليمان أن يوضع عرشها في حجرة زجاجية دون أن يتغير وضعه ، فلما وصلت بلقيس إلي قصر سليمان استقبلها أحسن استقبال لانها جاءت إليه وأرادت أن تصل إليه ، وحسبت الزجاج والبلور لجة ماء صاف ، فرفعت ثيابها وكشفت عن ساقيها ، لتخوض وتصل إليه ، وابتسم سليمان وقال لها :

هذا زجاج لا ماء .

فلما رأت قدرة سليمان التي لم تسمع بمثلها من قبل ، صدقت أنه رسول من عند الله وقالت

" رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين "(١)

واسلم جنودها معها ، وصارت بلاد سبأ في اليمن تعبد الله علي دين موسى وسليمان ، وتزوج سليمان بلقيس ، وضم بلادها إلي بلاده.

وفي قصتي داود وسلمان عليهما السلام دروس وعبر يستفاد منها ما يلي :

١- إن الله اختار داود عليه السلام ليفعل علي يديه العجائب ، كان راعيا للغنم ، فقتل بيده جالوت الجبار الذي تهابه الأبطال ، ولم يقتله بسيف ولا رمح ، ولم ينزل إليه بدرع ولا ترس ، وإنما قتله بحجر من مقلاع في يده ، فكان ذلك أدل علي قهر الله تعالى للجبابرة بأحقر الأشياء علي يد عبده الضعيف داود ، فسبحان من زلت له رقاب الجبابرة ، وسبحان من يقول للشئ كن فيكون .. وبذلك صار ملك بني إسرائيل إلي داود ، وهو من عامة الشعب ، وقد اتسع ملكه من إيله (علي خليج العقبة)حتى الفرات .. فسبحان الله العظيم مالك الملوك يؤتي ملكه لمن يشاء إذا شاء ، ويمنعه عمن يشاء إذا شاء ، وهو علي كل شئ قدير .

٢- أن الشخص الضعيف لا ينبغي له أن ييأس من النجاح ، وإحراز أسباب الفلاح ، مادام معتصما بأسباب التقوى والشكر لنعم الله تعالى .

٣- أن طاعة الله وشكر نعمة مما يوجب المزيد منها ، فإن الله تعالى لما رأى طاعة عبده ونبيه داود زاده من نعمة ، فالآن له الحديد ، وعلمه صنعة الدروع المسردة لتحصين الناس بأس الحروب ، وسخر له الطير والجمال يسبحن معه بكرة وعشيا ، وأنعم عليه بولده سليمان .

٤- وأوصى الله داود الحاكم والقاضي أن يحكم بين الناس بالعدل الذي به تستقيم الأمور وتصلح الأمة ، وبين القرآن الأسباب والعوامل التي تصرف الحاكم عن طريق الحق ، وهي إتباع هوى النفس

(١) سورة النمل : آية ٤٤.

ونزواتها وشهواتها ، لأن متابعة الإنسان لهوى النفس يصرفه ويضله عن سبيل الله ، الموصل إلى السعادة والفوز العظيم ، كما أن الخروج عن طريق التي رسمها الله ، يودي بصاحبه إلى العذاب الشديد يوم القيامة . وهذه الوصية من أروع الوصايا التي ذكرها القرآن الكريم ، لأنها تعصم الحاكم والقاضي من الزلل ، وتجنبها إصدار أحكام جائزة تكون عواقبها وخيمة على نظام الدولة وهيبة القضاء ، فتزعزع بنيانهما من الأساس .

٥- فضل العلم وشرف أهله ، قال تعالى : (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا عن كثير من عباده المؤمنين) [١] فهذه الآية دليل على فضل العلم وشرف أهله وتنبيه العلماء أن يحمدوا الله تعالى على ما آتاهم من فضله ، ويستشعروا منزلة العلم التي لا يوازيها شئ وفي تخصيص الآية بأن الله فضلها على كثير من عباده ، إشارة إلى أن البعض الآخر قد يكون مفضلا عليهما ، وفي هذا لفت نظر العلماء أن يتواضعوا ، لأن في عباد الله من يفضلونهم في العلن ، ويكفي في شرف العلم قوله لنبيه (ص) :(وقل ربي زدني علنا) [٢] وقوله (ص) : (العلماء ورثة الأنبياء) ، ومن أطراف ما قرأت في بيان فضل العلم تلك المحاور اللطيفة بين العقل والعلم حيث يقول القائل .

علم العليم وعقل العاقل اختلفا	من ذا الذي منهما قد أحرز الشرفا
فالعلم قال : أنا أحرزت غايته	والعقل قال: أنا الرحمن بي عرفا
فأفصح العلم إفصاحا وقال له	بأينا الله في قرآنه اتصافا
فبان للعقل أن العلم سيده	فقبل العقل رأس العلم وانصرفا

---

(١) سورة النمل : آية ١٥.

(٢) سورة طه : آية ١١٤.

(٣) وانظر دعاء الأنبياء والرسل : ص ٢٧٠-٢٧٢.

٦ - وجوب الشكر لله تعالى على عبده لكل نعمة أسبغها عليه ، وخاصة نعمة العلم .

٧ - من بر الوالدين أن يشكر العبد ربه على ما أسبغ على والديه من النعم .

٨ - ومن بر الوالدين أن يشكر العبد ربه لنعمة الوالدين عليه

(١٣)

سيدنا زكريا وابنه يحيى عليهما السلام

كان في بني إسرائيل قليل جداً من الصالحين الطاهرين ، وكان منهم رجل اسمه عمران ، عالم عابد ، رضي الله عنه واختاره ، لكمال أخلاقه وصفاته الحميدة .

وكان عمران قد تزوج ، ومضت عليه مدة كبيرة ، ولم يرزقه الله بولد تفرح به زوجته .

واشتاقت امرأة عمران إلي أن يكون لها ولد ، فراحت تدعو الله أن يرزقها بطفل ، واستجاب لها الله ، واحست في يوم أنها حامل ، فأمتلأ قلبها بالفرح والسرور ، ونذرت ما في بطنها لله تعالي ، ووعدت الله أن يكون ابنها خادما لبيت الله طوال حياته ، ويتفرغ لعبادة الله وخدمة بيته.

وجاء يوم الوضع ، ووضعت زوجة عمران بنتا ، وفوجئت بذلك الأم ، إذ كانت تريد ولداً ، ليكون في خدمة المسجد ، فلما جاء المولود أنثى .. قررت الأم أن تفي بوعدها إلي الله ، رغم أن الذكر ليس كالأنثى، لأن في العادة الرجال هم الذين يخدمون المسجد .

دعت زوجة عمران الله تعالي ، وقالت : يا رب هذه أنثى !! وكنت أريدها ذكراً ، لأجعله خالصاً لخدمتك وعبادتك .. وإني سميتها مريم ، فأحفظها يا رب ، واحفظ ذريتها ، وأبناءها من الشيطان الرجيم .

فأوحى الله إليها : إنه اختار تكون الوليدة أنثى ، وإنه تقبلها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا ، ورضي أن تكون خادماً في بيت المقدس ، وبذلك .. اطمأنت زوجة عمران ، وشكرت ربها وأخذت مريم ، وسارت بها إلي بيت المقدس.

وكان في بيت المقدس رهبان كثيرون ، يعبدون الله وينقطعون لخدمة بيته ، وكان نبي هذا الزمان ورئيس الرهبان ، هو سيدنا زكريا عليه السلام ، وكان زكريا زوجاً لخالة مريم .

فلما دخلت أم مريم البيت المقدس ، وهي تحمل وليدتها الطاهرة ، وعرف زكريا والرهبان قصتها .... أراد كل منهم أن يأخذ مريم ، ليربيها فتنافسوا علي ذلك

وأخيرا اقترح عليهم سيدنا زكريا أن يقترعوا علي تربيتها ، وأن يلقى كل منهم بقلمه في النهر ، والذي يطفو قلمه علي سطح الماء .. يفوز بتربيتها .

ساروا إلي النهر ، وألقوا جميعاً أقلامهم فيه ، فسقطت جميع الأقلام ما عدا قلم واحد ، ظل طافيا فوق سطح الماء ، وهو قلم سيدنا زكريا .

فرح سيدنا زكريا فرحاً شديداً ، وأخذ مريم من أمها ، وبدأ زكريا يخدم مريم ويربيها ، ويكرمها حتى كبرت .

كان لها مكان خاص ، تعيش به في بيت الله وكان لها محراب تتعبد فيه ، وكانت تقضي وقتها كله في الصلاة وعبادة الله وشكره .

وكان سيدنا زكريا ، كلما دخل عليها المحراب وجد عندها أمرا عجباً .... كان يجد فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء ، فيسألها زكريا من أين لك هذا الرزق الكثير يا مريم ؟

فتجيبه مريم :

هو من عند الله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب فاطمأن زكريا علي مريم ، وكان يشعر في نفسه أن مريم ذات منزلة خاصة عند ربها

وطمع سيدنا زكريا أن يعطف الله عليه ، كما عطف علي مريم ، فدعا الله في نفسه وقال يا رب يا رب

فقال له الله تعالى لبيك .... لبيك

فقال سيدنا زكريا : رب إني ، ضعف عظمي ، وشاب شعري ، وليس لي ولد يرثني من بعدي ، لأن امرأتي عاقر ولا تلد !! يا رب هب لي ولداً ، واجعله باراً تقياً ، ليقوم بالدعوة من بعدي ، ويرشد الناس إلي ما فيه الخير والصلاح .

وما كاد يتم دعاءه ، حتى سمع الملائكة تناديه وهو يصلي في المحراب : يا زكريا ، إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى ، سيكون نبياً ورسولاً في صباه ، وسيكون عالماً غزير المعرفة والعلم في صغره .

وأحس زكريا من فرط الفرح باضطراب ... فتساءل في دهشة وقال : وكيف يكون لي غلام وزوجتي عجوز عاقر لا تلد .. فأجابته الملائكة ، إن هذه مشيئة الله ، وإن الله إذا اراد شيئا قال له : كن فيكون، فليس هناك شئ يصعب علي الله سبحانه وتعالى ... فكل شئ يخلقه الله بمجرد مشيئته .

امتلأ قلب زكريا بالفرح والشكر والتمجيد لله تعالي ... وسأل ربه أن يجعل له آية أو علامة ، يستدل بها علي وجود الولد منه .

فأخبره الله سبحانه وتعالي أنه ستجئ عليه ثلاثة أيام لا يستطيع فيها النطق ... وسيكون سليم البدن ... وعندما حدث له هذا .. أيقن سيدنا زكريا أن زوجته حامل ، وأن المعجزة قد تحققت ... وعليه – ساعتها – أن يكلم الناس بالاشارة ، ويكثر من التسبيح والشكر والدعاء والذكر .

وخرج زكريا يوماً علي قومه وقلبه مملوء بالشكر لله ، وأراد أن يكلمهم .. فاكتشف أن لسانه لا ينطق .. فعرف أن المعجزة قد تحققت .

كان زكريا يرتعش من الفرح ، وراحت دموعه تسيل علي وجهه، وتبلل لحيته البيضاء ، وقام يصلى شكرا لله ، لأنه استجاب لدعائه ، ومنحه ابنه يحيى .

وولد يحيى عليه السلام .... سلام الله عليه يوم ولد ، ويوم يموت ، ويوم يبعث حياً ...

فقد كان ميلاده معجزة ، فقد جاء لأبيه زكريا بعد عمر طال ، حتى يئس فيه الشيخ من الذرية ... وجاء بعد دعوة نقية ، تحرك فيها قلب "زكريا" ، وجاء وسط عصر امتلئ بقمم النقاء ، كما أمتلئ بقمم الطغيان .

ولد يحيى عليه السلام ، فجاءت طفولته غريبة عن دنيا الأطفال ، كان معظمهم يمارسون الشقاوة ، أما هو فكان هادئاً طيباً

وكان يحيى يطعم الحيوانات والطيور من طعامه رحمة بها ، ويبقى هو بغير طعام ، أو يأكل من ثمار الأشجار ، وكلما كبر يحيى في السن ....زاد النور في وجهه ، وامتلأ قلبه بالعلم والحكمة وحب الله.

ولما صار صبيا .... ناجته رحمة ربه :

" يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، وأتيناه الحكم صبياً "

صدر الأمر الإلهي له بأن يأخذ الكتاب بقوة ... كتاب الشريعة ، رزقه الله الاقبال علي معرفة الشريعة ، والقضاء بها بين الناس وهو صبي ... كان أعلم الناس وأشدهم حكمة في زمانه ودرس الشريعة دراسة كاملة ، ولهذا السبب أتاه الحكم صبياً ، وكان يبين للناس أسرار دينهم ، ويعرفهم الطريق المستقيم .

كان سيدنا يحيى يأخذ الناس إلي النهر ، ويغسلهم بمائه ويقول لهم:

أطهركم وأغسلكم بهذا الماء .

وكان سيدنا يحيى محبوبا بين الناس ، لحنانه وتقواه وعلمه الغزير ، وكان يخرج إلي الجبال والحقول والصحراء ، فيمكث فيها شهوراً يتعبد الله ، ويبكي بين يديه ، ويصلى .. وكان يحس بالأنس في البراري ، ولا يهتم بطعامه ، فيأكل من أوراق الأشجار ، وينام في أي مغارة يجدها أمامه .. وكان أحيانا يدخل مغارة في الجبل فيجد فيها وحش . أسد ، أو نمر ، أو ذئب فكان من فرط انشغاله بعبادة الله ، وذكره لا يأبه بالذئب أو الأسد ، وكان الوحش ينظر إليه فيعرف ان

هذا نبي الله يحيى الذي يعطف علي المخلوقات ، ويدفئها بحنانه ، وكان أحياناً يدخل عليه الوحش ، فيشاركه في طعامه .

كان سيدنا يحيى إذا وقف بين الناس ليدعوهم إلي الله أبكاهم من الورع والخشوع والرهبة ، وذات صباح ، خرج سيدنا يحيى علي الناس ، فأمتلأ بيت الله بالناس ، ووقف يحيى يحدثهم قائلاً :

إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أعمل بها ، وأمركم أن تعملوا بها

- أن تعبدوا الله وحده لا شريك له
- وأمركم بالصلاة ، فان الله ينظر إلي عبده وهو يصلى ، فإذا صليتم فأخشعوا .
- وأمركم بالصيام
- وأمركم بالصدقة ، فالصدقة تفتدي الإنسان وتخلصه من ذنوبه
- وأمركم بذكر الله عز وجل كثيراً ، وأعظم الحصون ذكر الله .

انتهى يحيى من كلامه ، فهبط من علي المنبر ، وسار عائدا إلي الصحراء ، وفي هذا الخلاء كان سيدنا يحيى يأخذ في الصلاة والذكر والبكاء .

وفي هذا العصر ، كان يحكم المدينة حاكم فاسد وفاجر ، وكان يسمع أنباء متفرقة عن سيدنا يحيى فيدهش ، لأن الناس يحبونه أكثر منه ، وكان هذا الملك يريد الزواج من بنت أخيه الجميلة .

عرف سيدنا يحيى عليه السلام رغبة هذا الملك الشرير الجبار ، فثار وغضب ، وأخذ يبين له وللناس أن هذا العمل مخالف للدين وللشريعة ، وأنه لا يرضي الله .

ولما وقف يحيى أمام رغبته ، أمر بذبحه ، وقطع رأسه ، فذهب الجند من اليهود وقتلوا هذا النبي الطاهر ، وحملوا رأسه الشريف إلي

الحاكم المستبد في طبق ، فقدمه لبنت أخيه ، لترضي بزواجه .....
وتشقق قلب الصخور علي قتل النبي الطاهر العظيم ، وهو يمضي إلي الشهادة .

(١٤)

سيدنا عيسى عليه السلام

وأمه الطاهرة مريم

كان بنو إسرائيل قوماً يحبون المال ويجمعونه من كل طريق ، يخونون أصحابهم ليجمعوه ، ويبيعون شرفهم ليجمعوه ، ويسرقون ويقتلون من أجل الحصول عليه .

وكان في بني إسرائيل قليل جداً من الصالحين العابدين لله ، وكان من هؤلاء الصالحين رجل اسمه عمران ، كان يعبد الله ، فرضي الله عنه لكمال أخلاقه وصفاته الحميدة .

وعاش عمران مع زوجته فترة طويلة ، ولم يرزقه الله بولد ، فاشتاقت امرأة عمران إلي الولد ، فتوجهت إلي الله سبحانه وتعالي ، وراحت تدعوه بأن يرزقها بولد ، تفرح به ويملأ عليها البيت .

استجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء امرأة عمران ، فأحست في ذات يوم أنها حامل ، وأن الجنين يتحرك في أحشائها .

امتلأ قلب امرأة عمران بالفرح ، وراحت تشكر الله علي استجابته لدعائها ، ونذرت ما في بطنها لله ، وأن يكون خادماً لبيت الله طوال حياته يتفرغ لعبادة الله وخدمة بيته .

وجاء يوم الولادة ، ووضعت امرأة عمران بنتاً ، فحزنت حزناً شديداً ، وعلت وجهها الكآبة ، لأنها كانت تريد المولود ذكراً ليخدم المسجد ، فخدام بيت الله كلهم من الرجال .

فخاطبت امرأة عمران ربها ، قائلة :

يا رب ، هذه أنثى ، وكنت أريدها ذكرا ، ليخدم بيتك المقدس وإني سميتها مريم ، فأحفظها واحفظ ذريتها من الشيطان الرجيم .

فأوحى الله سبحانه وتعالي إلي امرأة عمران ، أنه أراد أن تكون المولودة أنثى ، فهو أعلم بمصلحة عباده ، وشاءت رحمة الله أن تكون هذه الفتاة أفضل نساء العالمين ، وأن تكون أماً لنبي يجئ ميلاده كميلاد آدم .... جاء آدم من غير أب أو أم ، وجاء عيسى عليه السلام من غير أب ..... جاء من أم طاهرة لم تتزوج ، ولم يمسسها بشر .

وبذلك .. اطمأنت امرأة عمران ، وشكرت ربها ، وحملت مريم وسارت بها إلي بيت المقدس .

وكان نبي هذا الزمان ورئيس الرهبان ، هو زكريا ، وكان زوجاً لخالة مريم .

فلما دخلت أم مريم بيت المقدس ، وعرف زكريا والرهبان قصة مريم ، أخذوا يتسابقون علي تربية مريم وكفالتها فترة طويلة ، فكانت من نصيب سيدنا زكريا (انظر قصة سيدنا زكريا عليه السلام) .

فرح سيدنا زكريا فرحاً كبيراً ، وأخذ مريم من أمها .

أراد زكريا أن يربي مريم أحسن تربية ، فبنى لها غرفة خاصة ببيت الله ، لتتعبد فيها بعيداً عن الناس ، وكان سيدنا زكريا يقوم بخدمتها ورعايتها بنفسه .

وصارت مريم تنمو وتكبر بسرعة ، حتى أصبحت فتاة عاملة مهذبة ، فكانت تقضي كل وقتها تصلي وتتعبد في محرابها ، وتذكر الله وتشكره .

وكان زكريا يزورها في المحراب أحيانا ... وكان كلما دخل عليها، وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء ، فيتحير ويسألها من أين لك هذا الرزق الكثير يا مريم ؟

فتجيبه مريم قائلة : هو من عند الله ... إن الله يرزق من يشاء بغير حساب .

وكبرت مريم ، وبلغت مبالغ النساء ، وخرجت ذات يوم من بيت المقدس ، لتغسل ملابسها وتستحم وما كادت تصل إلي عين ماء الجبل القريب ، حتى رأت أمامها جبريل – وهو في صورة إنسان كامل - وكانت لا تتوقع أن ترى إنساناً هناك ، فلما رأته فزعت وخافت وقالت لماذا جئت إلي هذا أيها الإنسان ؟ وهل أنت إنسان طيب تعرف الله وتتقيه ، إني أعوذ به منك .

فاقترب منها جبريل ، وقال لها : لا تخافي يا مريم !!! إني رسول من ربك ، جئت لأهب لك غلاماً ذكياً .

وما كادت مريم تسمع قوله ... حتى زاد خوفها واضطرابها ، وردت عليه قائلة :

وكيف يكون لي ولد ، وأنا عذراء ولم يمسسني بشر ، ولم أتزوج بعد ، فكيف أنجب دون زواج ؟؟

فقال لها جبريل : هذا ما أمرني به الله سبحانه وتعالى وهو قادر علي كل شئ ، وخلق طفل دون أب ، أمر سهل علي الله ، لأن الله إذا أراد شيئا ، قال له : كن فيكون ، وسيكون ولدك رسولاً للناس .

وكانت كلمات جبريل ، تخرج من فمه بصوت يملأ نفس مريم ثقة واطمئناناً ، فلما أدرك وأحس ارتياحها لطلبه .. تقدم منها ، ونفخ في جيب درعها نفخة مباركة ، وتركها وانصرف .

ومضت أيام وأيام ، وأحست مريم بالجنين الطاهر يتحرك في أحشائها ، فنسيت وعد جبريل لها ، وتذكرت ما سيقوله الناس عنها ، حينما يعرفون أنها حامل ، وهل سيصدقها أحد من كهنة اليهود الذين يعيشون علي السرقة والغش ، والخديعة ، وهل سيصدق أحدهم وهو بعيد عن السماء ، إن السماء هي التي رزقتها بهذا الطفل ، فخافت وأخذت تفكر حتى أوشكت أن تمرض من كثرة التفكير ، ولكنها سمعت الملائكة تقول لها :

لماذا تحزنين يا مريم ، إن الله فضّلك علي نساء العالمين وهو يبشرك بغلام اسمه عيسى وسيكون وجيها عند الله ، وعند الناس ،

وسيكلم الناس وهو طفل ، وسيكلمهم وهو كبير ، وقد أرسله الله نبياً ورسولاً إلي بني إسرائيل ، ليطهرهم من الفساد الذي يعيشون فيه ، وهذه نعمة كبيرة يا مريم ، خصك الله بها ، فاشكريه وصلى ، وأركعي مع الراكعين .

وتمت فترة الحمل وأحست مريم بآلام الولادة ، فخرجت إلي مكان بعيد عن أعين الناس ، لأن الناس كانوا لا يعرفون إنها حامل ... فلقد كان المحراب مغلقا عليها والناس يعرفون أنها تتعبد فلا يقتربون منها.

جلست مريم تستريح تحت نخلة جافة الجذع ، فلجأت إليها لتعتمد علي جذعها .

ورجعت إليها الشكوك والوساوس مرة أخرى ، وأخذت تقول في نفسها :

ماذا سيقول عني اليهود ، أصحاب الألسنة الطويلة ، عندما يرون ولدي ؟

ومن يصدق أن هذا أمر الله ؟

إن الناس لم يروا من قبل ابناً من غير أب ؟

وماذا سيقول عني الرهبان ، الذين كنت أعيش معهم ؟

وهم يعرفون إنني شريفة طاهرة ، ولم يمسسني بشر ؟

وماذا سيقول عني زكريا ؟ وهل سيصدق ما حدث لي ؟

ولما وصلت إلي هذا الحد من التفكير والاضطراب ، صاحت :

يا ليتني مت قبل هذا ، ونسيني الناس ، وعندئذ سمعت نداء وليدها[1] يقول لها :

---

(١) وقيل ايضا أن المنادي هو جبريل عليه السلام

يا مريم .. لا تحزني ، وطلب منها أن تهز النخلة ، لتسقط عليها بعض ثمارها الشهية لتأكل منها ، وطلب منها أن تفرح ولا تفكر في شئ .. فإذا رأت الناس فلتقل لهم إنها نذرت للرحمن صوماً ، ولن تكلم إنساناً اليوم ، ولتدع له الباقي .

ومدت مريم يدها إلي النخلة .. ولم تكد تلمس جذعها ، حتى تساقط عليها رطب شهي .. فأكلت وشربت ، وحمدت الله .

حملت مريم وليدها ، وسارت به إلي قومها .

وبينما كان زكريا عليه السلام يجلس في بيت المقدس ، وحوله الرهبان واليهود .. دخلت عليهم مريم الطاهرة ، تحمل وليدها المبارك، فلما رأوها ورأوا وليدها ... ارتبك زكريا ولم ينطق بكلمة ، وصاح الرهبان واليهود :

ما هذا الغلام التي تحمله مريم علي صدرها ؟؟ وكيف جئت به ، وأنت عذراء ولم تتزوجي بعد ؟ لقد كنا نؤمن بأنك أطهر نساء العالمين.

لقد نشأت في بيت طاهر ، وعريق ، ورباك زكريا خير تربية ، ولم يكن أبوك فاسداً ولا أمك فاسقة ، فمن أين جئت بهذا الغلام ، وأنت لم تتزوجي بعد ؟

وكانت الاتهامات تتساقط عليها ، وهي مرفوعة الرأس ، ويشع من وجهها نور يفيض بالثقة ... فلما زادت الأسئلة وضاق الحال ، اشتد توكلها علي الله ، وأجابتهم قائلة :

إني نذرت لله صوماً ، ولن أكلم اليوم أحداً ، ولن أجيب علي أسئلتكم التي ترددونها . وهذا وحده يجيبكم ، وأشارت إلي عيسى .

واندهش الناس ، وتساءل الكهنة ورؤساء اليهود كيف يوجهون السؤال لطفل ولد منذ أيام .. فكيف سيتكلم ؟

فقالوا لمريم : كيف نكلم من كان في المهد صبياً ؟

فقال عيسى : " إني عبد الله ، أتاني الكتاب وجعلني نبياً ومباركاً أينما كنت ، وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً ، وأمرني أن أكون باراً بأمي ... والسلام علي يوم ولدت ، ويوم أموت ، ويوم أبعث حياً"(١) .

أما زكريا عليه السلام ففرح فرحا عظيما علي براءة مريم ورفع رأسه إلي السماء قائلاً : شكرا لك يا رب !! فقد أظهرت براءة مريم الطاهرة .

لكن اليهود ...أخذتهم الدهشة وارتاعوا ، عندما سمعوا عيسى يتكلم ... كانوا يشهدون معجزة تقع أمامهم مباشرة ... طفل يتكلم في مهده ، ويقول إن الله قد أتاه الكتاب وجعله نبياً ... هذا يعني أن سلطتهم في طريقها إلي الانهيار .

شعر كهنة اليهود بالمأساة الشخصية التي جاءتهم بميلاد هذا الطفل ... إن مجرد مجئ المسيح يعني إعادة الناس إلي عبادة الله وحده... وهذا معناه إعدام الديانة اليهودية الحالية ... فالفرق بين تعاليم موسى وتصرفات اليهود ، كان يشبه الفرق بين الشمس في السماء ووحل الطرقات ، وتكتم رهبان اليهود قصة ميلاد العذراء ببهتان عظيم.

خافت مريم علي وليدها ، فأخذته وهربت به إلي قريتها ، لتعيش به بعيدة عن فتن اليهود ، وظنونهم السيئة الشريرة '

وكان لمريم قريب تقي صالح مثلها ، فكان لا يشك في طهارتها وعفافها ، فقد رأي وليدها عيسى يتكلم وهو في المهد ، فآمن بقصتها الطاهرة وصدقها ، فقرر بينه وبين نفسه أن يكون خادماً لها ولوليدها .

وانتقل قريب مريم معها إلي القرية التي تعيش بها ، وراح يخدمها هي ووليدها .

---

(١) سورة مريم . ٣٠ . ٣٣

وبذلك ... ابتعدت مريم عن اليهود ، وعن شرورهم ، ولكنهم لم يتركوها في شأنها ، بل راحوا يشتمونها ويسبونها في كل مكان ، وراحوا ينقلون الأخبار الكاذبة والسيئة عنها وعن وليدها إلي حاكم المدينة ، هيريدوت فقالوا له عنها : إنها ساحرة ... سحرت عقول الناس بقصتها ، حتى صدقوا أن طفلها تكلم وهو في المهد .

وقالوا عن أبنها : إنه شيطان رجيم ، وإن أمه علمته السحر فلو عاش فسوف تفسد الدنيا .

وراحوا يوسوسون لحاكم المدينة حتى أقنعوه بقتل مريم ووليدها.

فكرت مريم وقريبها في مكان ، يهربون إليه ... فلم يجدوا مكانا آمناً عليهم أكثر من مصر ، فعزمت مريم الهجرة إلي مصر .

وصلت مريم إلي مصر بعد رحلة طويلة شاقة ، وكانت مصر بخيرها الكثير وجوها المعتدل وأهلها المسالمين ... خير مكان ينشأ فيه عيسى ، وراحت السيدة مريم الطاهرة تتعلم غزل الكتان ، لتربي وليدها وتكسب رزقها بعملها ، وكان عيسى – عليه السلام – يعمل بالتجارة ، فراح يقطع الأخشاب ويحملها إلي السوق لبيعها ، ليكسب رزقه بعمل شريف ، فعاش هو وأمه بسلام في مصر .

سمعت مريم بعد سنين ، أن حاكم المدينة قد هلك واستراحت منه فلسطين ، فجمعت أمرها ، وسافرت إلي قرية الناصرة بأرض فلسطين، وأقامت هناك تربي وليدها المقدس .

دخل عيسى كُتاباً في قرية الناصرة ، ليتعلم القراءة والكتابة ، فظهرت عليه علامات البركة والخير .

كان سيدنا عيسى يخبر الأطفال الذين معه في الكتاب بما أكلوه وبما صنعوه في بيوتهم ، كأنه حاضر معهم .. وكان هؤلاء الأطفال ينقلون أخبار عيسى إلي أهلهم ، حين يرجعون فيمتلئ أهلهم دهشة وعجباً

أحبه معلموه حباً جماً ، لأنه كان طفلاً مهذباً ، كريم الأخلاق ، لا يحب اللهو ، وكان دائماً مقبلاً علي دروسه ... يريد أن يحصل كل ما يقوله له معلموه دفعة واحدة .

ولما بلغ سيدنا عيسى اثنتي عشرة سنة ، أخذته أمه ، وسارت إلي بيت المقدس ليؤدوا الحج ، فقد كان من عادة اليهود أن يحجوا إلي بيت المقدس ، في موعد محدد من العام ، وهناك يقوم الكهنة والرهبان بجمع المال ، ويحتالون علي الناس من أجل الحصول علي المال ، وهناك رأى عيسى الجرائم التي يرتكبها رجال الدين ، ووقف يسمع دروس الكهنة التي يلقونها علي الناس ، فتألم أشد الألم ، لأنه رأى الرهبان يلعبون بعقول الناس ، ويسخرونها لمنافعهم .

فجلس عيسى مع هؤلاء الرهبان ، أمام الناس ، وصار يسمع إلي كلامهم ويناقشهم فيه ويجادلهم ، ويبين لهم الخطأ من الصواب ، وكان الناس يسمعون ويعجبون من علمه الغزير .

وشعر العلماء والرهبان اليهود أن عيسى سوف ينبه الناس إلي خطأهم ، فغضبوا غضباً شديداً ، ولكنهم لم يمدوا إليه أيديهم بالأذى ، بل صبروا عليه وهم في أشد الغيظ .

وانتهت أيام الحج وعزمت أمه علي الرجوع إلي قرية الناصرة ، ولكنها تلفتت حولها ، فلم تجد عيسى ... فبحثت عنه في كل مكان ، فلم تجده ، بحثت عنه في ملاه وملاعب الأطفال ، الذين في سنه فلم تجده .

ولما طال بحثها عنه ، حسبته قد سافر مع الأطفال الراجعين إلي قرية الناصرة ، فسارت خلف الراجعين إلي القرية ، فبحثت عنه في كل مكان في القرية ولكنها لم تجده .

ولما يئست في وجوده في القرية .. رجعت إلي البيت المقدس ، فوجدته في مجالس وحلقات الدروس ، يناقش العلماء ، ويرد علي أسئلتهم ، ويبين لهم الخطأ من الصواب ، وظلت مريم هي وعيسى في بيت المقدس ، ولم يعودا إلي قريتهما .

وعندما بلغ سيدنا عيسى الثلاثين أوحى الله إليه أن يكون رسولاً ونبياً إلي بني إسرائيل ، ليرشدهم إلي الدين الصحيح الذي جاء به موسى من قبل ، وكان الفساد قد انتشر من اليهود انتشاراً كبيراً ، فنسوا الله ، وأنكروا يوم البعث ويوم القيامة وأصبح كل همهم جمع المال والحصول عليه بأي طريقة .

فراح المسيح يدعوا الناس إلي عبادة الله وحده لا شريك له ... إلي تنقية نفوسهم ، وتطهير قلوبهم ، وأفهم الناس أن الله يحب الفقراء والأغنياء الطيبين ، ويكره الشر والخداع والغش ...

وأفهمهم أن أحداً لا يمكنه أن ينفذ إلي رحمة الله ، إلا إذا كان وديعاً طيباً ، يحب كل الناس .

وكانت الشريعة اليهودية تنص علي القصاص ... من ضربك علي خدك الأيمن ، فاضربه علي خده الأيمن .

فجاء عيسى ، وقال :

من ضربك علي خدك الأيمن ، فأدر له خدك الأيسر ....

أراد عيسى أن يفهم اليهود أن الشريعة ليست انتقاماً وضرباً ، وإنما الشريعة الحقيقية هي المبنية علي التسامح والعفو .. وفوجئ اليهود بهذه الدعوة الجديدة إلي الحب ، وفوجئوا بالمسيح ، وهو يدعوهم إلي الله بطريقة تهدم دعوتهم ، وتجعل وجود كهنتهم عديمي المعنى ، فوقفوا في طريقه ، وراحوا يصدون الناس عن إتباعه ، ويحاولون تعجيزه بطلب الأشياء المستحيلة .

ولكن سيدنا عيسى لم ييأس ،وقابل عنادهم بالصبر ، وطلب من المولى عز وجل أن يعينه عليهم .

فبعث الله سيدنا عيسى بمعجزة تتفق مع عصره ، وتليق به كإنسان ولد من غير أب .. فكلم الناس في المهد وكهلا ، وعلمه الله الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وكان عيسى مؤيدا بمعجزة هائلة ، هي

القدرة علي دعوة الموتى من قبورهم ، فإذا هم يخرجون أحياء بإذن الله.

فقال له اليهود :

إن كنت رسولاً حقا ، فأحيي لنا ميتاً فرأي عيسى ميتاً محمولاً علي نعشه ، فأمر الذين يحملون النعش أن يقفوا ، وطلب من الله أن يبعث الحياة في هذا الميت .

فاستجاب الله دعاءه ، وعادت الحياة إلي الميت ، وما كاد الناس يرون هذه المعجزة حتى آمن به قوم كثير من الحاضرين .

وبقى قوم علي كفرهم ، وقالوا للمؤمنين :

هذا ساحر !! لقد خدعكم بسحره .

ومنذ هذا اليوم .. راح سيدنا عيسى يتنقل في جميع أنحاء فلسطين، وهو يدعو الناس إلي عبادة الله ، يبين لهم الحق من الباطل .

واشتهر أمره في هذه البلاد ، وعرف الناس أنه يصنع أشياء ، لا يقدر عليها أحد من الأطباء ، فكان عيسى إذا وضع يديه فوق أكمة ، أو أبرص .. شفي علي الفور بإذن الله ....

وكان إذا لمس طرف ثوبه المتواضع مريضاً ، شفي بإذن الله .

فأقبل عليه المرضي ، والمصابون بالبرص والعمى من كل مكان، يطلبون منه أن يشفيهم من أمراضهم وآلامهم .

هذه معجزة أيده الله بها ، ويستحيل علي العلم والطب ، أن يحيى من مات مرة أخرى ، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يحيى ويميت ، وهو علي كل شئ قدير .

وكثرت معجزات سيدنا عيسى الدالة علي صدق رسالته .

وذات يوم .. طلب قومه منه أن يخلق لهم من الطين طيراً ، فأخذ سيدنا عيسى قطعة من الطين ، وشكلها علي هيئة طائر ، ثم نفخ فيها ،

فصارت طائرا حياً بإذن الله ، يطير في الفضاء ، والناس يشاهدونه ويرونه ، فيزداد المؤمنون إيماناً ، ويزداد الكافرون كفراً وعناداً .

واستمر المسيح يدعو الناس في البلاد ، فزاد أتباعه ، وفي ذات مرة ، كان يمشى في الصحراء وكان حوله تلاميذه وبعض المؤمنين به، فاشتد عليهم العطش والجوع ، ولم يكن معهم لا شراب ولا طعام.

فقال له تلاميذه :

يا كلمة الله ، اطلب من ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ، نأكل منها وتكون آية لك ، فتعجب سيدنا عيسى من كلامهم ، وقال لهم :

هل تشكون في رسالتي ، بعد ما رأيتم من الأدلة والبراهين ؟

فأجابوه قائلين :

لا ..لا .. نحن لا نشك في رسالتك ، ولكننا نريد أن يزيد إيماننا بك.

فنظر المسيح إلي السماء ، وطلب من ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء ، وما كاد يفرغ من دعائه ، حتى رأي الحاضرون مائدة تنزل من السماء بين سحابتين ، وتنخفض حتى تهبط إلي الأرض ، وتستقر أمام المسيح ، وعليها غطاء أبيض نظيف .

فقال عيسى عليه السلام :

أحسنكم عملاً يتقدم ويكشف عن هذه المائدة ، فقالوا له :

أنت يا روح الله ، خيرنا عملاً ، وأحسنا فعلاً .

فقام المسيح وصلى وشكر الله ، وكشف الغطاء ، فوجد تحته سمكة مشوية ليس بها قشر ، وعند رأسها ملح ، وحولها أطعمة مطبوخة ، تفوح منها رائحة ، لم يشموا مثلها لطعام من قبل . فالتفوا حوله ، يأكلون منها ، وكلما أكلت جماعة وشبعت - قامت وأتت جماعة أخرى ، فأكلت ، والسمكة علي حالها لا تنقص شيئاً ، وهكذا .. أكلوا جميعا حتى شبعوا ، ثم رفعت المائدة إلي السماء ، وأعين الحاضرين تنظر وترى ،

فلما رجعوا إلي القرى ، وتحدثوا بهذه المعجزة إلي الناس .. ضحك اليهود وقالوا :

لقد سحر أعينكم عيسى ، حتى جعلكم ترون أشياء لم تحدث ، وكثرت معجزات المسيح ، وكثر أتباعه في البلاد ، فشعر اليهود أن دياناتهم ومركزهم في خطر شديد .

فعزموا علي أمر خطير .. عزموا علي الخلاص من سيدنا عيسى ليستريحوا من دعوته !! ولكن الله حفظه منهم ، ومن شرورهم ، ورفعه إلي السماء .

متى ينتهي التعصب فيعم السلام هذا العالم ؟

سئل السيد جمال الدين الأفغاني ما هو دين المستقبل ؟ قال [١]: هذه الآية من كتاب الله " إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " [٢].

وقال السيد رشيد رضا- رحمه الله- [٣] : سمعنا هذه المسألة من البكري [٤] وقال أمامنا : إن السيد جمال الدين الأفغاني قال له : انقشوا هذه الآية علي هرم الجيزة إلي أن يجئ المستقبل يفسرها . ومعنى الآية الكريمة : أء الحق تبارك وتعالى يدعو أصحاب الملل والنحل المؤمنون واليهود والنصارى والصابئين ، إلي الإيمان الصادق وإخلاص العمل لله ، وساقه بصيغة الخبر فقال : " إن الذين آمنوا " المؤمنون أتباع محمد عليه السلام ، " والذين هادوا " اليهود أتباع موسى عليه السلام ، " والصابئين " قوم عدلوا عن اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة "من آمن بالله واليوم الآخر " أي من آمن من هذه الطوائف بالنبي الخاتم (ﷺ) إيمانا صادقا فصدق بوحدانية الله ، وأيقن بالآخرة "وعمل صالحا " أي عمل بطاعة الله وشريعته في دار الدنيا " فلهم أجرهم عند

---

(١) تفسير المنار : ٥/٦١٠ .
(٢) سورة البقرة : آية ٦٢
(٣) المصدر السابق : ٩٣/١٢.
(٤) هو المرحوم السيد محمد توفيق البكري شيخ مشايخ الطرق الصوفية سابقا

ربهم " أي لهم ثوابهم عند الله لا يضيع منه مثقال ذرة " ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " أي ليس علي هؤلاء المؤمنين خوف في الآخرة حين يخاف الكفار من العقاب ، ويحزن المقصرون علي تضييع العمر وتفويت الثواب . وجاء في التلمود (كتاب اليهود) أن رجلا أتى شاماي الكاهن وسأله أن يلقنه الناموس والشريعة في عبارة واحدة ، فلم يلق منه إلا الغيظ والطرد ، فقصد كاهن آخر هو (هليل) وطلب إليه نفس الشئ ، فأجابه إلي طلبه بقوله : " افعل بالغير ما تريد أن يفعل بك الغير " هذا هو الناموس وهذه هي الشريعة والباقي شرح له وتفسير ، فلم لا نتوحد ؟ ولم التفرق والانشقاق ؟ بل لم التعصب ؟ وكلنا في غنى عن التباعد والانفصال .

إن وجه الإسلام الجميل قد رفع نقابه ليتعرفوه . إنهم واقفون علي عتبته ولا يلبث أن يفتح مصراعيه فيدخلوه .

وقد قربك رأي السيد جمال الدين الأفغاني ، وهو فيلسوف إسلامي كبير ، وكأنه قد رأي بعين بصيرته : أن الناس سيصلون إن شاء الله بعلومهم وعقولهم إلي مرتقى تزول فيه الجنسيات .. وتختفي العصبيات المذهبية ، ويجتمع شمل المؤمنون في كل الدنيا علي الإيمان الصادق بالله ، وإخلاص العمل لله ، والعمل بطاعته في دار الدنيا ، وتقديم الأعمال الصالحة النافعة للبشرية ، والإيمان باليوم الآخر ، وبذلك يعيشون في الحياة تحت ظل من السعادة ظليل متحابين ، متعاونين علي عمل ما فيه الخير لكل قبيل .

وما يوجد بينهم من خلاف وعدوان ، وبغضاء وشنآن ، سببه التعصب يطرحونه وراء ظهورهم ، لأنه لا يعود إلا بالضرر الكبير عليهم فعندئذ يختفي الصراع ، وتنتهي الحروب ، فيعم السلام هذا العالم. أ.هـ [١]

(١) وانظر كتاب : دعاء الأنبياء والرسل للمؤلف : ص ٣٢١ – ٣٢٢.

(١٥)

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

ميلاده ومرحلة الشباب

ولد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يتيماً ، فقد ولدته أمه آمنة بنت وهب يتيم الأب ، إذ مات أبوه عبد الله وهو جنين في بطن أمه ، ولما ولدته ... أرسلت إلي جده عبد المطلب فقالت له :

لقد ولد لابنك غلام ، فجاء جده ليراه ، ثم أخذه إلي الكعبة ، وشكر الله علي ما أعطاه ، ثم أعاده إلي أمه .

فرح به جده عبد المطلب فرحاً عظيماً ، وسماه (محمداً) . وفي يوم مولده ﷺ انكسر إيوان كسرى وسقطت منه عشر شرفات ، وأنطفأت نار فارس ، التي ظلت مشتعلة ألف عام .

وكان لابد أن يعهد بكل طفل من قريش إلي إحدى مرضعات البادية ، وكانت هذه عادة عند العرب ، لكي تستقيم ألسنتهم ، وتقوى أبدانهم .

وخرجت مرضعات البادية إلي مكة ، وجاءت معهم حليمة السعدية وكانت تركب حماراً هزيلاً ضعيفاً ، وتحمل ابنها الرضيع ، ويسير بجوارها زوجها ، ومعها ناقة عجوز ليس بضرعها لبن .

أخذت حليمة تسرع بحمارها ، لكي تسير مع المرضعات ولا تتأخر عنهن ، ولكن حمارها كان ضعيفاً لا يقدر علي ملاحقة بقية دواب المرضعات ، فتأخرت عنهن .

وحين وصلت المرضعات إلي مكة ، اعرضن عن محمد بن عبد الله ، لأنه كان يتيماً ، وفقيراً وأجر رضاعته سيكون قليلا

وأخذت المرضعات جميع الأطفال ، ما عدا حليمة السعدية لم يبق لها طفل من أسرة غنية ، لم يبق إلا محمداً ، الطفل اليتيم ، ابن آمنة بنت وهب ، فقال لها زوجها : لا بأس ، هيا نأخذ هذا الطفل اليتيم ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة ، وكان اللبن في ثدي حليمة السعدية قليلاً ، لدرجة أنه لا يكفي ابنها وحده ، لذلك كان ضعيفاً ، وكثير البكاء ، قليل النوم من الجوع .

ولكن ما إن أخذت محمداً ووضعته علي رجلها ، حتى شعرت باللبن ، وكأنه يملأ كل جسمها .

رضع محمد حتى شبع ، ورضع ابن السيدة حليمة كذلك حتى شبع ، وبينما حليمة السعدية مندهشة ومتعجبة من كثرة اللبن الذي في ثديها ، إذ نادى عليها زوجها قائلا لها :

يا حليمة .. لقد حدث شئ عجيب إن ناقتنا العجوز قد امتلأ ضرعها باللبن ، فأسرعت حليمة إلي زوجها ، وحلبت الناقة ، وشربت من لبنها هي وزوجها ، حتى شبعوا ، فقال زوج حليمة لها : لقد أخذنا طفلاً مباركاً يا حليمة .

وحين عزمت حليمة وزوجها علي الرحيل ، ومعهما محمد، ليبقى عندهما فترة رضاعته ، ركبت حمارها الهزيل الضعيف ، وسارت وهنا حدثت معجزة ، آثارت دهشة حليمة ، ودهشة كل المرضعات .. أخذ الحمار الضعيف الهزيل يسير بقوة وسرعة عجيبة، إلي درجة أن حليمة السعدية سبقت كل المرضعات .

عادت حليمة إلي ديارها في بني سعد ، فامتلأ بيتها بالسعادة والبهجة ، بوجود الطفل محمد ، وحلت البركة في كل شئ ، فكانت الغنم تخرج لترعى ، فتعود آخر النهار سمينة ، ممتلئة باللبن ، وعلي غير عادتها ، مع أن المراعي ليس بها عشب ولا خضرة إلا القليل.

مرت الأيام ، وذات يوم خرج محمد مع أخيه من الرضاعة، يرعيان أغنامهم ، ففوجئت حليمة بابنها يعود إليها مسرعاً ويقول لها:

إن أخي محمد ، قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض وشقا بطنه فأسرعت حليمة هي وزوجها إلي محمد ، فوجدا وجهه متغيراً ، فأحتضنته ، وقالت له : ما بك يا بني .

فقال لها :

إن رجلين عليهما ثياب بيض ، أتيا بطست من ذهب ، مملوء بالثلج ، ثم أخذاه فشقا بطنه ، واستخرجا قلبه فشقاه ، واستخرجا منه مضغة سوداء ، فرمياها ، ثم غسلا قلبه وبطنه بذلك الثلج .. ثم ضماه إلي صدرهما وقبلا رأسه ، وما بين عينيه ثم اختفيا .

عادت حليمة بمحمد إلي بيتها ، وظلت تفكر في هذا الأمر الغريب، الذي يدل علي أن هذا اليتيم له شأن عظيم ، ولكنها كانت خائفة عليه ، فقررت أن تعيده إلي أمه ، فقد استكمل الرضاعة في وقت قصير .

بعد أن عاد محمد من ديار مرضعته حليمة السعدية ، عاش مع أمه في مكة ، حتى ماتت ، وهو في السابعة من عمره ، فتولى جده عبد المطلب تربيته ، إلي أن مات ، وعمر محمد ثمان سنوات، فقام عمه أبو طالب برعايته ، وقال له حين مات جده ، لا تحزن يا ابن أخي ، أنا لك بدل أبيك وأمك وجدك ، لن تحزن يا محمد مادمت حياً !

وعاش محمد مع عمه أبي طالب ، حتى كبر وصار شاباً ، وفي شبابه تعلم رعي الغنم وعرف الناس جميعاً في مكة أن محمد أحسن راعي غنم ، ونشأ محمد صادقاً لا يكذب ، أميناً لا يغش ، عطوفاً لا يخاصم أحداً ، ولطيفاً لا يكرهه أحد .

" محمد في مرحلة الشباب "

حينما بلغ محمد سن الشباب كان يقضي أغلب وقته ، وهو يتعبد في غار حراء ، كان يفكر في عظمة الكون وأسراره ، ورحمة خالقه

وحينما بلغ محمد الخامسة والعشرين ، تزوج خديجة بنت خويلد ، وكانت في الأربعين من عمرها ، وكانت امرأة غنية وجميلة وشريفة،

تعمل بالتجارة وتريد تاجراً أميناً يذهب بتجارتها إلي الشام ، فلما بلغها أن محمداً أصدق الناس وأعظمهم أمانة وأكرمهم أخلاقاً ، أرسلت إليه وأعطته بعض مالها ليتجر به في الشام ، وأرسلت معه غلامها ميسرة.

ذهب محمد بتجارة خديجة إلي الشام ، فباع واشترى ، وربح مالاً كثيراً ثم عاد إلي مكة ، فأعطى إلي خديجة ما اشترى من البضاعة، وما ربح من المال ، وعرضت عليه خديجة الزواج ، وقبل محمد الزواج ، ففرحت خديجة فرحاً عظيماً .

وولدت له خديجة أربع بنات ، هن : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، كما ولدت له ولدين ، هما : القاسم ، وعبد الله .

وسعد محمد بخديجة ، وسعدت خديجة بمحمد ، وعاش محمد وخديجة مثلاً طيباً للزوجين السعيدين ، ومنحته خديجة كل حنانها ، وعوضته بمالها عن التعب والكدح اللذين كانا يمنعانه من الخلوة التي يتعبد فيها ، ولم تعكر عليه خلوته وتأملاته في غار حراء .

وكان يمكث في غار حراء ، شهر رمضان بأكمله ، يتعبد فيه ، ويفكر في الله .

وفي يوم من أيام شهر رمضان ، جاءه في الغار جبريل عليه السلام ، وناداه يا محمد !!

وارتعد محمد ، عندما رأي أمامه جبريل – علي الصورة التي خلقه الله عليها – وكاد يجري ، فضمه جبريل إلي صدره ، وقال له:

اقرأ

قال محمد : ما أنا بقارئ !!

فضمه جبريل ضمة شديدة ، ثم تركه ، وقال له : اقرأ

قال محمد : ما أنا بقارئ ....

قال جبريل : اقرأ باسم ربك الذي خلق ....

فقرأها محمد ، وحفظها ، ثم اختفى جبريل عن عينه . وكانت هذه هي أول سورة نزلت في القرآن الكريم .

وبدأت مرحلة جديدة في حياة النبي ﷺ ،فراح يدعو الناس إلي عبادة الله ، وترك عبادة الأصنام ، ولكن الكفار صدوه ولم يستمعوا إليه ، وبدأت حرب الكراهية بينه وبين قريش .

وفرضت قريش حصارها الاقتصادي علي النبي وأتباعه ، فمنعوا أهل مكة أن يبيعوا لمحمد أو لأصحابه ، أو يشربوا منهم حتى يهلكوا من الجوع ، أو تلتوي أمعاؤهم من الجوع ، وخرج النبي ﷺ يوماً ليصلى فألقى الكفار التراب علي رأسه .

وبجانب ما قاساه النبي ﷺ ، وأتباعه في الحصار الاقتصادي ، الذي فرضته عليهم قريش مدة طويلة ، فوجئ عليه الصلاة والسلام بفاجعتين في عام واحد ، ساقهما إليه القدر ، وكانتا لهما في نفسه الشريفة هزة عنيفة ، وهما : موت زوجته خديجة ، التي كانت توليه من حبها وحنانها وإيمانها ، ما يشد به أزره ، ويقوى نفسه ، فهي أول من آمنت به من النساء ، وكانت تهون عليه ما يلقاه من متاعب مع قومه ، ثم موت عمه أبي طالب .. الذي كان يمنع عنه إيذاء الكفار ، ويحميه منهم .

وبينما كان النبي ﷺ ، يقاسي هذا العذاب فكر في الذهاب إلي الطائف ، التي كانت تسكنها قبيلة ثقيف ، يطلب منهم العون والمساعدة، وقال النبي الكريم ﷺ في نفسه :

إذا كانت القلوب هنا قد تجمدت علي الكفر والباطل ، فسوف أذهب إلي ثقيف في الطائف ، لأدعوهم إلي عبادة الله ، فربما هدى الله بي رجلاً واحداً ، وذلك أفضل عندي من الدنيا وما فيها .

خرج النبي ﷺ من مكة إلي ثقيف ، ماشيا علي قدمه ، وخرج النبي ﷺ سراً ، ولم يقل لأبي بكر ، ولا لابنته فاطمة الزهراء .

ومكث سيدنا محمد في الطائف عشرة أيام ، راح يدعو فيها الناس إلي عبادة الواحد الأحد ، وترك عبادة الأصنام ، فصده أهل ثقيف ، وقابلوه أسوأ مقابلة .

ووقف النبي صلى الله عليه وسلم في الطائف ، ورجا أهلها أن يكتموا سر زيارته لهم ، حتى لا تزداد شماتة أهل مكة فيه ، وعداوتهم له ، ولكنهم رفضوا هذا الرجاء .

ولم يكتفوا بذلك ، بل سلطوا عليه سفهاءهم ، فراحوا يرمون النبي ﷺ بالحجارة .

وخرج النبي ﷺ من الطائف ، والسفهاء والكبار يضربونه بالحجارة ، فأصيب عليه الصلاة والسلام في قدميه ، وسالت منها الدماء ، واحتمي النبي ﷺ ،ببستان يملكه اثنان من أغنياء الطائف .

وجلس النبي ﷺ ، وراح يمسح الدماء من قدميه الشريفة ، ولجأ إلي ربه ، ليخلصه من سخرية قومه ، ويعوضه عن فقد زوجته وعمه ، وهو يتضرع إلي الله ويقول :

" اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني علي الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلي من تتركني ؟

إلي بعيد .. يتجهم في وجهي ، أم إلي عدو ملكته أمري .. غير أن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة .. أن يحل غضبك .. لك العتبى حتى ترضي ، ولا حول ولا قوة إلا بالله " .

وفي ليلة مباركة هدأت ريحها ، وخيم علي الكون السكون ، والنبي بين اليقظة والنوم ، أمد الله نبيه بالعون والتشجيع ، وسرى به من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصى ، فإذا به في لمح البصر ، يتخطى الجبال والوديان إلي القدس ، وهناك وجد أنبياء الله كلهم بانتظاره في المسجد الأقصى ، ويرحبون به ... ثم تأتيه دابة ، لها

جناحان يركبها ، فتصعد به في السموات العلا ، فيرى نور ربه ساطعاً، يكاد يخطف الأبصار ، فيسأل النبي ﷺ ، جبريل الذي كان يرافقه في الرحلة ، فيشرح له كل شئ ، ويعرف النبي ﷺ أن أهل الخير هم الفائزون ، وان أهل الشر هم الخاسرون .

ويعود سيدنا محمد إلي المسجد الحرام بمكة ، وقد امتلأ إيماناً وازداد ثقة بأن الله ناصره ، ومؤيده ، ومنقذه من هؤلاء القوم الكافرين ، فزالت مخاوفه ، ونزل قول الله تعالي :

" ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك .... " [١]

هكذا ... يثبت الله نبيه ، ويطمأنه علي حسن العاقبة ، فيقوى علي احتمال أعباء الرسالة ومتاعب الهجرة .

وعندما رجع النبي ﷺ من رحلته ، قص علي الناس ما حدث له ، فتعجبوا وصاروا يضربون كفاً بكف ، ويقولون : هذا كذب واضح ، تقطع المسافة من مكة إلي القدس ذهاباً وعودة في ليلة واحدة ، ونحن نقطعها في أيام وليال.

وقال بعضهم : هل تستطيع يا محمد أن تصف لنا المسجد الأقصى، لقد سافرنا إليه ، ونعرف وصفه .

وإذا برسول الله يرى المسجد الأقصى وكأنه أمامه ، فأخذ يصف لهم المسجد جزءاً جزءاً ، حتى انتهى من وصفه .

فقالوا له : إن هذا الوصف صحيح حقا ، ولكن إن لنا قافلة قادمة من الشام ، فهل تستطيع أن تخبرنا عنها ؟

فأخبرهم الرسول ﷺ بخبر القافلة ، ووصفها لهم ثم قال لهم . إنها ستصل في يوم كذا ، مع طلوع الشمس يتقدمها جمل أورق [٢]

---

(١) سورة الانشراح آية ١-٢

(٢) الأوراق من كل شئ ما كان لونه لون الرماد ، ومن الناس الأسمر

وفي نفس اليوم الذي حدده الرسول ﷺ ، وصلت القافلة يتقدمها جمل أورق ، كما وصفها لهم ، فدهش الناس ، وقال المعاندون :

هذا سحر واضح .

وفي هذه الليلة ، فرض الله الصلاة علي أمة محمد ، وهي الركن الوحيد من أركان الإسلام ، الذي فرضه الله علي محمد مباشرة دون وحي ، تعظيماً لأمر هذا الركن .

وكانت الدعوة الإسلامية كلما كسبت أنصاراً ومؤيدين ، ازدادت قريش عداوة وعنفاً لمحمد وأتباعه ، ولذلك ، رأي النبي ﷺ ،أن يأذن لمن شاء من المسلمين أن يهاجر ، حفاظاً عليه وعلي دينه ، ورغبة في نشر الدين في موطن جديد .

وهاجر بعض المسلمين إلي الحبشة ، ومنهم من ترك تجارته الواسعة في مكة ، لا يعنيه شئ منها ، مادام قد أصبح آمنا علي دينه .

وهناك ... طلب " النجاشي " ملك الحبشة مهاجري المسلمين ، فجاءوا إليه ، وقد تقدمهم جعفر بن أبي طالب ، فسلم عليه ، ولم يسجد له ، كما كان متبعاً .

وقال له النجاشي : ما لك لا تسجد للملك ؟

فأجابه : نحن قوم لا نسجد إلا لله عز وجل .

فقال الملك : ماذا تقصد بذلك ؟

فأجاب جعفر : إن الله عز وجل أرسل إلينا رسوله محمد ﷺ ، وأمرنا ألا نسجد إلا لله ، خالق السموات والأرض .

فقال النجاشي :

إنه الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم .. أنزلوا حيث شئتم في هذه البلاد .

وكان أهل المدينة – في كل عام – يحجون إلي الكعبة في مكة ، فسمعوا دعوة النبي ﷺ وآمنوا بها ، فلما رجعوا إلي قومهم في المدينة، أخبروهم ، ودعوهم إلي الإسلام ، فأسلم من أهل المدينة أناس كثيرون.

فلما أذن النبي ﷺ لأصحابه في الهجرة .. كانت هجرة الكثيرين منهم إلي المدينة ، وظل محمد وقليل من أصحابه في مكة ، يلقون الأذى وكان المسلمون مع ذلك يزيدون ويهاجرون إلي المدينة .

وأخذ المسلمون يتزايدون .. وأخذ المشركون يزدادون اضطهاداً لهم وعنفاً معهم ، وانتهى بهم الغيظ إلي أن يقول أحدهم : لا سبيل إلي منع دعوة محمد ، إلا أن نقتله ، وبذلك .. تبطل دعوته ، ويرتد أتباعه إلي عبادة الأصنام .

وكان أبو جهل بين الكافرين ، فقام وقال : إنكم قبائل كثيرة ، والرأي عندي أن نختار من كل قبيلة شاباً قوياً ، ثم يحمل هؤلاء الشبان سيوفهم وينتظرون محمداً علي باب داره ، حتى إذا رأوه خارجاً من داره في الصباح ، ليؤدي صلاة الصبح ، ضربوه جميعاً بسيوفهم ضربة رجل واحد ، وبذلك يتفرق دمه بين القبائل ، فلا تقوى بنو هاشم وهي قبيلة محمد علي حربهم جميعاً ، فتكتفي بالدية ، ويعود أصحابه إلي ديننا .

وأوحى جبريل إلي النبي ﷺ ، أن يهاجر إلي المدينة ، في الليلة التي حددها الكفار لتنفيذ جريمتهم ، وأخبر النبي ﷺ صديقه أبا بكر بعزمه علي الهجرة ، فقال له : الصحبة يا رسول الله !

فأذن له ، وقال ﷺ : الصحبة يا أبا بكر

وفي هذه الليلة .. نام علي بن أبي طالب في فراش النبي ﷺ ، ليوهم المشركين أن النبي ﷺ لم يخرج من داره ، فكان أول فدائي في الإسلام .

وبدأ المتآمرون يتجمعون عند باب بيت الرسول ﷺ ، ولما طال انتظارهم ، اقتحموا الدار ، ونزعوا الغطاء من علي وجه النائم ... فإذا هو علي بن أبي طالب ، فأخذتهم الدهشة ، وصاحوا غاضبين :

الويل لك يا ابن أبي طالب .

وراحوا يبحثون عن محمد في كل مكان ليقتلوه ، وكان النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر قد رحلا ، وبعدا عن مكة ، ونزلا في غار علي الطريق ، اسمه غار ثور .

وكان كفار مكة قد خرجوا جماعات جماعات ، يقتفون أثر النبي وصاحبه علي الرمل ، ومازالوا يتبعونه ﷺ حتى انقطع بالقرب من الغار .

هناك وقف الكفار حيارى ، ينظرون حولهم ، فلا يجدون أحداً، ولا يرون أثراً لقدم .

وحفظ الله رسوله وصاحبه من الكفار ، فعششت حمامتين علي باب الغار ، ونسجت العنكبوت شباكا من خيطها حول عش الحمامتين ، وتم كل ذلك في لحظات .

ولما رأى الكفار عش الحمامتين ونسيج العنكبوت ، أيقنوا أن محمداً وصاحبه ، لم يدخلا إلي هذا الغار ، فانصرفوا ، يبحثون عنهما في مكان آخر .

وكان النبي ﷺ وصاحبه في الغار ، يسمعان أصوات الرجال ، وهم يتجادلون عند باب الغار ، وخاف أبو بكر وهمس في أذن النبيﷺ: لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا .

فقال له النبي ﷺ :يا أبا بكر ، لا تحزن إن الله معنا .

بعد ذلك هاجر النبي ﷺ إلي يثرب ، فاستقبله أهلها استقبالاً عظيماً وهم يغنون بالدفوف :

طلع البـــدر علينا	مـــن ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعـــــا لله داع
أيها المبعـوث فينا	جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة	مرحبا يا خـير داع

وأول عمل قام به ﷺ هو إزالة العداوات بين قبيلتي الأوس والخزرج ، وسائر الأنصار ، وكان اليهود يكسبون من وراء هذه العداوات ، فكانوا يدفعون كل قبيلة ، لتحارب الأخرى فيضعف كل منها ، ولكن قدوم النبي ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار وأصبح الجميع أسرة واحدة .

وراح الأنصار يستقبلون المهاجرون بحفاوة وترحيب ، وينزلونهم في دورهم ويقاسمونهم أموالهم وكل ما عندهم .

وكتب رسول الله ﷺ بين سكان المدينة والأنصار (معاهدة) بين فيها دعائم الأخوة ، التي تقوم بينهم في مجتمع واحد ، وقد أقر فيها اليهود علي دينهم ومالهم ، وعاهدهم علي الحماية ، ماداموا يخلصون للمجتمع الذي يعيشون فيه .

وتحت لواء الرسول ﷺ .راح هذا المجتمع الجديد ينشر النور ، ويبذر بذور الهدى والرشاد والسلام ، حتى زال الشرك من الجزيرة العربية ، وحلت عبادة الله الواحد الأحد ، بدلاً من عبادة الأحجار والأصنام .

ثم تطورت الدعوة الإسلامية بعد ذلك ، فأرسل النبي ﷺ الولاة إلي جميع أنحاء الجزيرة ، يجمعون الزكاة ويصرفونها في مصارف التضامن ، فلكل فقير حاجته ، ولكل متزوج إعانته ، ولكل أعمى قائده، ولكل مدين من يسدد ديونه ، ولكل من يموت فقيراً حماية أسرته بعد وفاته ، وحقنت الدماء ، وحفظت الأعراض ، وتحرر الناس من الجهل والخوف والخرافة ، وعاشوا تحت لواء الدين الجديد في أمن وسلام .

الفهرس

	الصفحة
الإهداء	
المقدمة	٣
١- قصة سيدنا آدم عليه السلام	٥
٢- قصة سيدنا نوح عليه السلام وسفينة النجاة	١٣
٣- قصة سيدنا صالح عليه السلام	١٩
٤- قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام والانتصار العظيم والمعجزة الكبرى	٢٣
٥- قصة سيدنا إسماعيل عليه السلام	٢٥
٦- قصة سيدنا لوط عليه السلام	٣١
٧- قصة سيدنا يونس عليه السلام والحوت	٣٥
٨- قصة سيدنا يوسف عليه السلام وأخوته	٣٩
٩- قصة سيدنا أيوب عليه السلام .. أبو الصابرين	٥١
١٠- قصة سيدنا موسى عليه السلام وقصته مع فرعون الطاغية	٥٣
١١- قصة سيدنا داود عليه السلام	٦٧
١٢- قصة سيدنا سليمان عليه السلام والهدهد والملكة بلقيس	٧٣
١٣- قصة سيدنا زكريا وأبنه يحيى عليهما السلام	٧٧
١٤- قصد سيدنا عيسى عليه السلام وأمه الطاهرة	٨٣
١٥- قصة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم	٩٥